

مصادر الماركسية" الثلاثة"
واقسامها المكونة" الثلاثة"

يا عمال العالم ، اتحدوا !

لينين

مصادر الماركسية الثلاثة واقسامها المكونة الثلاثة

مجموعة مقالات



دار التقدم
موسكو

ترجمة الياس شاهين

طبع في الاتحاد السوفييتي

Л $\frac{0101020000-512}{014(01)-84}$ без объявл.

مصادر الماركسية الثلاثة
واقسامها المكونة الثلاثة (١)

يثير مذهب ماركس ، في مجمل العالم المتمدن ، اشد العداء والحقد لدى العلم البرجوازي كله (سواء الرسمي او الليبيرالي) ، اذ يري في الماركسية ضرباً من «بدعة ضارة» . ليس بالامكان توقع موقف آخر ، اذ لا يمكن ان يكون ثمة علم اجتماعي «غير متحيز» في مجتمع قائم على النضال الطبقي . فكل العلم الرسمي والليبيرالي يدافع ، بصورة او بأخرى ، عن العبودية الماجورة ، بينما الماركسية اعلنتها حرباً لا هوادة فيها ضد هذه العبودية . ا ٓن ْ تتوقع علماً غير متحيز في مجتمع قائم على العبودية المأجورة ، لمن السذاجة الصبيانية كأن تطلب من الصناعيين عدم التحيز في مسألة ما اذا كان يجدر تخفيض ارباح الراسمال من اجل زيادة اجرة العمال .

ولكن ليس ذلك كل ما في الامر . فان تاريخ الفلسفة وتاريخ العلم الاجتماعي يبينان بكل وضوح ان الماركسية لا تشبه «البدعة» في شيء بمعنى انها مذهب متحجر ومنطو على نفسه ، قام بمعزل عن الطريق الرئيسي لتطور المدنية العالمية . بل بالعكس . فان عبقرية ماركس كلها تتجلى بالضبط في كونه اجاب عن الاسئلة التي طرحها الفكر الانساني التقدمي . وقد ولد مذهبه بوصفه التتمة المباشرة والطبيعية لمذاهب اعظم ممثلي الفلسفة والاقتصاد السياسي والاشتراكية .

ان مذهب ماركس لكلي الجبروت ، لانه صحيح . وهو متناسق وكامل ؛ ويعطي الناس مفهوماً منسجماً عن العالم ، لا يتفق مع اي

ضرب من الاوهام ، ومع اية رجعية ، ومع اي دفاع عن الطغيان البرجوازي . وهو الوريث الشرعي لخير ما ابدعته الانسانية في القرن التاسع عشر : الفلسفة الالمانية ، والاقتصاد السياسي الانجليزي ، والاشتراكية الفرنسية .

واننا سنتناول بايجاز مصادر الماركسية الثلاثة هذه ، التي هي في الوقت نفسه اقسامها المكوّنة الثلاثة .

١

ان فلسفة الماركسية هي **المادية** : ففي غضون كل تاريخ اوروبا الحديث ، ولا سيما في اواخر القرن الثامن عشر ، في فرنسا ، حيث نشب نضال حاسم ضد كل نفايات القرون الوسطى ، ضد الاقطاعية في المؤسسات وفي الافكار ، كانت المادية الفلسفة الوحيدة المنسجمة الى النهاية ، والامينة لجميع تعاليم العلوم الطبيعية ، والمعادية للاوهام ولتصنّع التقوى ، الخ . . ولذا بذل اعداء الديموقراطية كل قواهم «لدحض» المادية ، لتقويضها ، للافتراء عليها ؛ ودافعوا عن شتى اشكال المثالية الفلسفية التي تؤول ابداً ، على نحو او آخر ، الى الدفاع عن الدين او الى نصرته .

وقد دافع ماركس وانجلس بكل حزم عن المادية الفلسفية وبيّنا مراراً عديدة ان الانحرافات عن هذا الاساس ، اياً كانت ، خاطئة بصورة فادحة . ووجهات نظرهما معروضة باكثر ما يكون من الوضوح والتفاصيل في مؤلفي انجلس : «لودفيغ فورباخ» و«ضد دوهرينغ» ، اللذين هما ، على غرار «البيان الشيوعي» ، من عداد الكتب التي يجب ان تكون دائماً بين يدي كل عامل واع .

ولكن ماركس لم يتوقف عند مادية القرن الثامن عشر ، بل دفع الفلسفة خطوات الى الامام . فاغناها بمكتسبات الفلسفة الكلاسيكية الالمانية ، ولا سيما بمكتسبات مذهب هيغل ، الذي قاد بدوره الى مادية فورباخ . واهم هذه المكتسبات ، **الديالكتيك** ، اي نظرية التطور باكمل مظاهرها واشدها عمقاً ، واكثرها بعداً عن احادية الجانب ، نظرية نسبية المعارف الانسانية التي تعكس المادة في تطورها الدائم . ان احدث اكتشافات العلوم الطبيعية — الراديوم ،

والالكترونات وتحول العناصر – قد اثبتت بشكل رائع صحة مادية ماركس الديالكتيكية ، رغم انف مذاهب الفلاسفة البرجوازيين مع ردّاتهم «الجديدة» نحو المثالية القديمة المهترئة .

وقد عمق ماركس المادية الفلسفية وطورها ، فانتهى بها الى نهايتها المنطقية ووسع نطاقها من معرفة الطبيعة الى معرفة **المجتمع البشري** . إن **مادية** ماركس **التاريخية** كانت اكبر انتصار احرزه الفكر العلمي . فان البلبلة والاعتباط اللذين كانا سائدين حتى ذلك الحين في النظرات الى التاريخ والسياسة ، قد حلت محلهما نظرية علمية روعة في التناسق والتجانس والانسجام ، تبين كيف ينبثق ويتطور ، من شكل معين من التنظيم الاجتماعي ، ومن جراء نمو القوى المنتجة ، شكل آخر ، ارقى ، – كيف تولد الراسمالية من الاقطاعية ، مثلاً .

وكما ان معرفة الأنسان تعكس الطبيعة القائمة بصورة مستقلة عنه ، اي المادة في طريق التطور ، كذلك تعكس **معرفة** الانسان **الاجتماعية** (اي مختلف الآراء والمذاهب الفلسفية والدينية والسياسية ، الخ .) **نظام** المجتمع **الاقتصادي** . ان المؤسسات السياسية تقوم كبناء فوقي على اساس اقتصادي . فاننا نرى ، مثلاً ، كيف تقوم مختلف الاشكال السياسية للدول الاوروبية العصرية بدور ادوات لتعزيز سيطرة البرجوازية على البروليتاريا .

ان فلسفة ماركس هي مادية فلسفية مكتملة ، اعطت الانسانية ، والطبقة العاملة بخاصة ، ادوات عظيمة للمعرفة .

٢

بعدما أكد ماركس ان النظام الاقتصادي يشكل الاساس الذي يقوم عليه البناء الفوقي السياسي ، اعار انتباهه اكثر ما اعاره لدراسة هذا النظام الاقتصادي . ومؤلف ماركس الرئيسي «رأس المال» مكرّس لدراسة النظام الاقتصادي في المجتمع الحديث ، اي الرأسمالي .

لقد تكون الاقتصاد السياسي الكلاسيكي ما قبل ماركس في انجلترا ، وكانت اكثر البلدان الرأسمالية تطوراً . فان آدم سميث ودافيد ريكاردو اللذين درسا النظام الاقتصادي كانا قد سجلا بداية

نظرية **القيمة-العمل** . وواصل ماركس عملهما . فعلل هذه النظرية بدقة وطورها بصورة منسجمة . وبين ان قيمة كل بضاعة منوطة بوقت العمل الضروري اجتماعياً لانتاج هذه البضاعة .

وحيث كان الاقتصاديون البرجوازيون يرون علاقات بين الاشياء (مبادلة بضاعة ببضاعة اخرى) ، اكتشف ماركس **علاقات بين الناس** . ان تبادل البضائع يعبر عن الصلة بين المنتجين المنفردين بوساطة السوق . **والمال (النقد)** يعني ان هذه الصلة تزداد وثوقاً ، جامعة في كل واحد لا يتجزأ كل حياة المنتجين المنفردين الاقتصادية . **والراسمال** يعني استمرار تطور هذه الصلة : فان قوة عمل الانسان تغدو بضاعة . فالعامل المأجور يبيع قوة عمله لمالك الارض ولصاحب المصنع وادوات الانتاج . والعامل يستخدم قسماً من يوم العمل لتغطية نفقات اعالته واعالة اسرته (الاجرة) ؛ ويستخدم القسم الآخر للشغل مجاناً ، خالقاً للراسمالي **القيمة الزائدة** ، التي هي مصدر ربح ، مصدر اثراء للطبقة الراسمالية .

ان نظرية القيمة الزائدة تشكل حجر الزاوية في نظرية ماركس الاقتصادية .

ان الراسمال الذي يخلقه عمل العامل ينيخ بثقله على العامل ، ويخرب صغار ارباب العمل ، وينشئ جيشاً من العاطلين عن العمل . وانتصار الانتاج الضخم في الصناعة امر ظاهر من النظرة الاولى ؛ ولكننا لنلاحظ ظاهرة مماثلة في الزراعة ايضاً : فان تفوق الاستثمارة الزراعية الضخمة واستخدام الآلات يزدادان ، والاستثمارات الفلاحية تقع في ربقة الراسمال النقدي وتنحط ويحل بها الخراب تحت وطأة تكنيكها المتأخر . ان اشكال انحطاط الانتاج الصغير في الزراعة تختلف عنها في الصناعة ، ولكن انحطاطه نفسه واقع لا جدال فيه .

ان الراسمال ، اذ يسحق الانتاج الصغير ، يؤدي الى زيادة انتاجية العمل والى نشوء وضع احتكاري في صالح اتحادات اكبر الراسماليين . واكثر فاكثر يزداد الانتاج نفسه اتساماً بالصفة الاجتماعية – فمئات الآلاف والملايين من العمال يجمعون في عضوية اقتصادية متناسقة ، بينما قبضة من الراسماليين تستأثر بنتاج العمل المشترك . وتشتد فوضى الانتاج ، والازمات والركض المجنون وراء الاسواق ، وعوز سواد السكان .

ان النظام الراسمالي يزيد من تبعية العمال ازاء الراسمال ويخلق في الوقت نفسه قدرة العمل الموحد العظيمة .

لقد تتبع ماركس تطور الرأسمالية من اجنة الاقتصاد البضاعي الاولية ، من التبادل البسيط ، حتى اشكالها العليا ، حتى الانتاج الكبير .

وان تجربة جميع البلدان الراسمالية ، القديمة منها والجديدة ، تبين بوضوح صحة مذهب ماركس هذا لعدد من العمال يتزايد سنة بعد سنة .

لقد انتصرت الراسمالية في العالم بأسره ، ولكن هذا الانتصار ليس سوى عتبة انتصار العمل على الرأسمال .

٣

عندما دك النظام الاقطاعي ، ورأى المجتمع الرأسمالي «**الحر**» النور ، تبين فوراً ان هذه الحرية تعني نظاماً جديداً لاضطهاد الشغيلة واستثمارهم . وفوراً اخذت تنبثق شتى المذاهب الاشتراكيـــة ، انعكاساً لهذا الاضطهاد واحتجاجاً عليه . ولكن الاشتراكية البدائية كانت اشتراكية **طوبوية** . فقد كانت تنتقد المجتمع الراسمالي ، وتشجبه ، وتلعنه ؛ وتحلم بازالته وتتخيل نظاماً افضل ؛ وتسعى الى اقناع الاغنياء بان الاستثمار مناف للاخلاق .

ولكن الاشتراكية الطوبوية لم تكن بقادرة على الاشارة الى مخرج حقيقي . وكانت عاجزة عن تفسير طبيعة العبودية المأجورة في ظل الرأسمالية ، وعن اكتشاف قوانين تطور الرأسمالية ، وعن ايجاد **القوة الاجتماعية** القادرة على ان تغدو خالقة المجتمع الجديد .

غير ان الثورات العاصفة التي رافقت سقوط الاقطاعية ، القنانة ، في كل مكان من اوروبا وخاصة في فرنسا ، كانت تكشف بوضوح متزايد على الدوام عن اساس كل التطور وقوته المحركة وهو **الصراع بين الطبقات** .

فما من نصر لقضية الحرية السياسية على طبقة الاقطاعيين تم احرازه دون مقاومة مسعورة . وما من بلد راسمالي قام اساس

حر ، ديموقراطي ، الى هذا الحد او ذاك ، دون قيام نضال حتى الموت بين مختلف طبقات المجتمع الراسمالي .

ومن عبقرية ماركس ، انه كان اول من استخلص هذا الاستنتاج الذي ينطوي عليه التاريخ العالمي وطبقه بصورة منسجمة الى النهاية . وهذا الاستنتاج هو مذهب **النضال الطبقي** .

لقد كان الناس وسيظلون ابداً ، في حقل السياسة ، ضحايا ساذجة يخدعهم الآخرون ويخدعون انفسهم ، ما لم يتعلموا استشفاف **مصالح** هذه الطبقات او تلـــك وراء التعابير والبيانات والوعود الاخلاقية والدينية والسياسية والاجتماعية . فان انصار الاصلاحات والتحسينات سيكونون ابداً ضحية لخداع المدافعين عن الاوضاع القديمة طالما لم يدركوا ان كل مؤسسة قديمة مهما بدت بربرية ومتعفنة تبقى قيد الوجود بقوة هذه الطبقات السائدة او تلك . فلكي نسحق مقاومة هذه الطبقات ليس ثمة **سوى** وسيلة **واحدة** هي ان نجد في نفس المجتمع الذي يحيط بنا ونثقف وننظم القوى التي تستطيع — **وينبغي** عليها بحكم وضعها الاجتماعي — ان تغدو القوة القادرة على تكنيس القديم وخلق الجديد .

فقط مادية ماركس الفلسفية دلت البروليتاريا على الطريق الواجب سلوكه للخروج من العبودية الفكرية التي كانت تتخبط فيها حتى ذاك جميع الطبقات المظلومة . فقط نظرية ماركس الاقتصادية اوضحت وضع البروليتاريا الحقيقي في مجمل النظام الرأسمالي .

ان المنظمات البروليتارية المستقلة تتكاثر في العالم بأسره من اميركا الى اليابان ومن اسوج الى افريقيا الجنوبية . والبروليتاريا تتعلم وتتربى في غمرة نضالها الطبقي وتتحرر من اوهام المجتمع البرجوازي وتزداد تلاحماً على الدوام وتتعلم تقدير مدى نجاحاتها وتوطد قواها وتنمو بشكل لا مرد له .

«بروسفيشينيه» («التنوير») ، العدد ٣ ، آذار (مارس) ١٩١٣

المجلد ٢٣ ، ص ٤٠–٤٨

كارل ماركس

(موجز عن تاريخ حياة كارل ماركس ،
يتضمن عرضا للماركسية)

مقدمة

المقالة عن كارل ماركس التي تصدر الآن بطبعة على حدة كتبتها في عام ١٩١٣ (بقدر ما اتذكر) من اجل معجم غرانات . وقد ورد في نهاية المقالة دليل مفصل نسبياً للمراجع عن ماركس ، واغلبها من المراجع الاجنبية . ولكن هذا الملحق لا يرد في هذه الطبعة . ثم ان هيئة تحرير المعجم عمدت من جهتها ، لاعتبارات تتعلق بالرقابة ، الى نبذ خاتمة المقالة عن ماركس المكرسة لعرض تكتيكه الثوري . ومن المؤسف انه لا يتسنى لي ان اعيد هنا طبع هذه الخاتمة لان المسودة بقيت في مكان ما مع اوراقي في كراكوفيا او في سويسرا انما اتذكر فقط اني اوردت في خاتمة المقالة ، فيما اوردته ، ذلك المقطع من رسالة ماركس الى انجلس بتاريخ ١٦ - ٤ - ١٨٥٦ ، الذي كتب فيه ماركس يقول : «سيتوقف كل شيء في المانيا على مكانية دعم الثورة البروليتارية بطبعة ما جديدة لحرب الفلاحين ، عندئذ يكون كل شيء على ما يرام» . وهذا ما لم يفهمه منذ عام ١٩٠٥ اصحابنا المناشفة الذين انزلقوا الآن الى خيانة الاشتراكية خيانة تامة ، الى الانتقال الى مصف البرجوازية .

ن . لينين

موسكو ، ١٤ - ٥ - ١٩١٨

ولد **كارل ماركس** في الخامس من ايار (مايو) سنة ١٨١٨ في مدينة ترير (بروسيا الرينانية) . وكان ابوه محامياً وكان يهودياً ، ثم اعتنق البروتستانتية في سنة ١٨٢٤ . ولم تكن عائلة ماركس الميسورة والمثقفة عائلة ثورية . وبعد ان أتم ماركس دراسته الثانوية في مدينة ترير ، دخل جامعة بون ، ثم جامعة برلين ، فدرس الحقوق ، وبنوع خاص التاريخ والفلسفة . وفي سهنة ١٨٤١ انجز دراسته بتقديم اطروحته الجامعية حول فلسفة ابيقور . وما زال ماركس آنذاك متمسكاً بآراء هيغل المثالية . وفي برلين انضم الى حلقة «الهيغليين اليساريين» (برونو باور وغيره) الذين كانــوا يحاولون ان يستخلصوا من فلسفة هيغل استنتاجات إلحاديــة وثورية .

وعندما تخرج ماركس من الجامعة اقام في مدينة بون حيث كان يأمل بالحصول على منصب استاذ في الجامعة . ولكن السياسة الرجعية التي كانت تسلكها الحكومة ، اذ اقصت ، عام ١٨٣٢ ، لودفيغ فورباخ عن منصبه كاستاذ ، وعادت في سنة ١٨٣٦ ، فرفضت من جديد السماح له بالعمل في الجامعة ، ومنعت ، في سنة ١٨٤١ ، الاستاذ الشاب برونو باور من القاء محاضرات في بون ، هذه السياسة الرجعية اضطرت ماركس الى العدول عن النشاط الجامعي . في ذلك الوقت ، كان تطور افكار الهيغلية اليسارية يجري سريعاً جداً في المانيا . وكان لودفيغ فورباخ قد اخذ ، منذ ١٨٣٦ على الخصوص ،

يوجه النقد الى علم اللاهوت ويتوجه نحو المادية التي احرزت الغلبة نهائياً عنده في سنة ١٨٤١ (كتاب «جوهر المسيحية») ؛ وفي سنة ١٨٤٣ ظهر كتابه «الاحكام الاساسية لفلسفة المستقبل» . لقد كتب انجلس فيما بعد حول هذين المؤلفين لفورباخ فقال : «كان يجب ان يكون الانسان قد تحسس بنفســـــه الاثر التحريري» لهذين الكتابين . «فلقد اصبحنا نحن» (اي الهيغليين اليساريين بمن فيهم ماركس) «دفعة واحدة ، من اتباع فورباخ» (٢) . وفي ذلك الوقت ، اسس البرجوازيون الراديكاليون في رينانيا ، الذين كان لهم بعض نقاط التقاء مع الهيغليين اليساريين ، جريدة معارضة في مدينـــة كولونيا ، باسم «الجريدة الرينانية» (التي اخذت تصدر ابتداء من اول كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٤٢) . وقد دعي ماركس ، وبرونو باور الى العمل محررين اساسيين فيها ، وفي تشرين الاول (أكتوبر) سنة ١٨٤٢ ، اصبح ماركس رئيس تحريرها ، فانتقل من مدينة بون الى كولونيـــا . وتحت ادارة ماركس ، اخذ اتجاه الجريدة الديموقراطي الثوري يزداد وضوحاً ، فعمدت الحكومة في اول الامر الى اخضاع الجريدة لرقابة ثنائية بل ثلاثية ثم امرت بتعطيلها تماماً ابتداء من اول كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٤٣ . فاضطر ماركس حينئذ للتخلي عن مركزه في تحرير الجريدة ، ولكن خروج ماركس لم ينقذ الجريدة اذ انها منعت من الصدور في آذار (مارس) سنة ١٨٤٣ . ومن اهم المقالات التي نشرها ماركس في «الجريدة الرينانية» ، فضلاً عن المقالات المشار اليها فيما بعد (راجعوا **دليل المراجع** (٣)) ، يشير انجلس الى مقال حول اوضاع الفلاحين صانعي الخمور في وادي الموزيل (٤) . وقد ادرك ماركس من نشاطه الصحفي ان معلوماته في الاقتصاد السياسي غير كافية فاندفع بحماسة الى دراسته .

في سنة ١٨٤٣ تزوج ماركس في كريزنـــــاخ من جيني فون ويستفالن ، صديقة طفولته التي خطبها وهو ما يزال طالباً . كانت زوجته تتحدر من عائلة نبيلة رجعية بروسية . وكان اخو جيني فون ويستفالن الاكبر وزيراً للداخلية في بروسيا في مرحلة كانت من اشد المراحل اغراقاً في الرجعية ، وذلك بين ١٨٥٠ و١٨٥٨ . وفي خريف ١٨٤٣ ، انتقل ماركس الى باريس ليصدر في الخارج مجلة راديكالية مع ارنولد روغه (عاش ارنولد روغه من سنة ١٨٠٢ الى

سنة ۱۸۸۰ . وكان هيغلياً يسارياً . وسجن من ۱۸۲٥ الى ۱۸۳۰ ، وهاجر بعد سنة ١٨٤٨ . وبعد ١٨٦٦ - ١٨٧٠ ، اصبح من انصار بيسمارك) . ولكن لم يصدر من هذه المجلة المسماة «الحوليـة الالمانية الفرنسية» سوى العدد الاول اذ اضطرت للتوقف بسبب الصعوبات الناجمة عن توزيعها بصورة سرية في المانيا وبسبب الخلافات مع روغه . وفي المقالات التي نشرتها هذه المجلة ، برز ماركس ثورياً ينادي «بانتقاد لا هوادة فيه لكل ما هو كائن» بما في ذلك «انتقـاد الاسلحـة» (٥) ويتوجــه الى **الجماهير** والى **البروليتاريا** .

في ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٤٤ ، جاء فريدريك انجلس الى باريس لقضاء بضعة ايام فيها فاصبح منذ ذلك الحين الصديق الحميم لماركس . وقد أسهم كلاهما بأشد الحماسة في الحياة المحمومة للجماعات الثورية التي كانت آنذاك في باريس (وكانت تولى هناك اهمية خاصة لمذهب برودون ، وقد صفى ماركس حساب هذا المذهب تصفية قاطعة في كتابه «بؤس الفلسفة» الذي صدر عام ١٨٤٨) ، وصاغا ، في غمرة نضالهما الحاد ضد مختلف نظريات الاشتراكية البرجوازية الصغيرة ، نظرية وتاكتيك **الاشتراكية البروليتاريـة** الثورية ، او الشيوعية (الماركسية) . راجع ادناه مؤلفات ماركس في هذه المرحلة الممتدة من ١٨٤٤ الى ١٨٤٨ في **دليل المراجع** . وفي سنة ١٨٤٥ طرد ماركس من باريس لكونه ثورياً خطراً ، بناء على طلب الحكومة البروسية . فجاء الى بروكسل واقام فيها . وفى ربيع ١٨٤٨ انتمى ماركس وانجلس الى جمعية سرية للدعاية هي «عصبة الشيوعيين» (٦) وقاما بقسط بارز في المؤتمر الثاني لهذه العصبة المنعقدة في لندن ، في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٤٧ . وبناء على تكليف المؤتمر وضع ماركس وانجلس «بيان الحزب الشيوعي» المشهور الذي نشر في شباط (فبراير) سنة ١٨٤٨ . ان هذا الكتاب يعرض بوضوح ودقة عبقريين المفهوم الجديد للعالم ، يعرض المادية المتماسكة التي تشمل ايضاً ميدان الحياة الاجتماعية ، والديالكتيك بوصفه المذهب الأوسع والأعمق للتطور ، ونظرية النضال الطبقي والدور الثوري الذي تضطلع به في التاريخ العالمي البروليتاريا ، خالقة المجتمع الجديد ، المجتمع الشيوعي .

وعندما انفجرت ثورة شباط (فبرايـر) ١٨٤٨ (٧) ، طرد ماركس من بلجيكا فعاد الى باريس ليتركها بعد ثورة آذار (مارس) (٨) ويعود الى المانيا ليقيم في مدينة كولونيا ، حيث صدرت ، من اول حزيران (يونيو) ١٨٤٨ الى ١٩ ايار (مايو) سنـــــة ١٨٤٩ «الجريدة الرينانية الجديدة» التي كان ماركس رئيس تحريرها . وقد اثبت مجرى الاحداث الثورية في ١٨٤٨ – ١٨٤٩ كما اثبتت فيما بعد جميع الحركات البروليتارية والديموقراطية في جميع بلدان العالم صحة النظرية الجديدة على نحو ساطع . في بادئ الأمر ، اقدمت الحركة الظافرة المعادية للثورة على احالة ماركس الى القضاء (فبرئ في ٩ شباط (فبراير) سنة ١٨٤٩) ثم نفته من المانيا (في ١٦ ايار (مايو) ١٨٤٩) . فانتقل اولاً الى باريس ، حيث طرد منها ايضاً بعد تظاهرة ١٣ حزيران (يونيو) ١٨٤٩ (٩) . ثم ذهب الى لندن حيث عاش حتى آخر أيامه .

ان ظروف حياة المهاجر هذه كانت مضنية الى اقصى حد كما يتبين بوضوح شديد من مراسلات ماركس وانجلس (المنشورة سنة ١٩١٣) (١٠) ؛ فقد عاش ماركس وعائلته تحت وطأة الفقـــر المدقع ، ولولا المساعدة المالية الدائمة المخلصة التي كان يقدمها له انجلس ، لما استحال على ماركس انجاز كتاب «رأس المال» وحسب ، بل لكان قد هلك حتماً من البؤس . ومن جهة اخرى كانت المذاهب والتيارات السائدة في الاشتراكية البرجوازية الصغيرة والاشتراكية غير البروليتارية بوجه عام تضطر ماركس الى خوض نضال دائم لا هوادة فيه ، كما كانت تضطره احياناً للرد على اكثر التهجمات الشخصية جنوناً وغباوة («Herr Vogt» * (١١)) . وقد تحاشى ماركس حلقات المهاجرين وانكب على ان يصوغ ، في جملة المؤلفات التاريخية ، (راجعو **دليل المراجع**) نظريته المادية باذلاً جهده لدراسة الاقتصاد السياسي على الاخص . وقد نفخ ماركس في هذا العلم روحاً ثورية (راجعوا ادناه **مذهب** ماركس) في مؤلفيه «مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي» (١٨٥٩) ، و«رأس المال» (المجلد الاول ، ١٨٦٧) .

---

* «السيد فوغت» . **الناشر** .

ثم جاءت مرحلة انتعاش النشاط في الحركات الديموقراطية في اواخر العقد السادس وفي العقد السابع فدفعت ماركس من جديد الى النشاط العملي . ففي سنة ١٨٦٤ (٢٨ ايلول-سبتمبر) تأسست في لندن الأممية الاولى المشهورة ، «جمعية الشغيلة العالمية» . وكان ماركس روحها ، كما كان ايضاً واضع «ندائها» الاول (١٢) وعدد كبير من المقررات والتصريحات والبيانات . ان ماركس ، بجمعه شمل الحركة العمالية في مختلف البلدان ، وسعيه الى توجيه شتى اشكال الاشتراكية غير البروليتارية السابقة للماركسية (مازيني ، برودون ، باكونين ، التريديونيونية الليبيرالية الانجليزيـــة ، الانحرافات اللاسالية اليمينية في المانيا ، الخ .) في طريق النشاط المشترك ، وكفاحه نظريات جميع هذه الشيع والمدارس الصغيرة ، قد صاغ تكتيكاً وحيداً لنضال الطبقة العاملة البروليتاري في مختلف البلدان . وبعد سقوط كومونة باريس (١٨٧١) (١٣) التي قدّرها ماركس تقديراً عميقاً ، صائباً ، باهراً ، **فعالاً** ، ثورياً («الحرب الاهلية في فرنسا» ، ١٨٧١) ، وبعد الانشقاق الذي أحدثـــه الباكونينيون (١٤) في الامية (١٥) ، لم يعد باستطاعة هذه الاممية ان تعيش في اوروبا ، فألحّ ماركس ، عقب مؤتمر ١٨٧٢ في لاهاي ، على انتقال المجلس العام للاممية الى نيويورك . وهكذا انجزت الاممية الاولى مهمتها التاريخية مفسحة المجال لمرحلة من النمو في الحركة العمالية في جميع البلدان نمواً اقوى واشد مما مضى الى ما لا قياس له ، - مرحلة تطور هذه الحركة من حيث **الاتساع** ، مرحلة تأليف احزاب عمالية اشتراكية **جماهيرية** ، في نطاق كل من الدول القومية .

وما بذله ماركس من نشاط شديد في الاممية ، وما قام به من اعمال نظرية بمزيد من الشدة ايضاً ، قد زلزلا صحته زلزلة نهائية : وقد واصل وضع الاقتصاد السياسي على اسس جديدة ، واتمام كتاب «**رأس المال**» جامعاً عدداً ضخماً من المستندات الجديدة ، ودارساً عدة لغات (اللغة الروسية ، مثلاً) ، ولكن المرض اقعده عن انجاز كتاب «**رأس المال**» .

وفي الثاني من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٨١ ماتت زوجته . وفي ١٤ آذار (مارس) سنة ١٨٨٣ رقد ماركس في كرسية

رقاداً اخيراً هادئاً ، ودفن مع زوجته في مقبرة هايغيت في لندن . وقد مات لماركس عدة ابناء وما يزالون اطفالاً ، في لندن حين كانت عائلته تعاني بؤساً مدقعاً . وكانت بناته الثلاث متزوجات من اشتراكيين من انجلترا وفرنسا ، وهن : ايليونور ايڤلينغ ولورا لافارغ وجيني لونغه ، وابن هذه الاخيرة عضو في الحزب الاشتراكي الفرنسي .

مذهب ماركس

الماركسية هي نظام نظرات ومذهب ماركس . لقد تابع ماركس واتم ، على نحو عبقري ، التيارات الفكرية الرئيسية الثلاثة في القرن التاسع عشر ، والتي تعزى الى البلدان الثلاثة الأكثر تقدماً في العالم : الفلسفة الكلاسيكية الألمانية ، والاقتصاد السياسي الكلاسيكي الانجليزي ، والاشتراكية الفرنسية المرتبطة بالتعاليم الثورية الفرنسية بوجه عام . ما تتصف به نظرات ماركس من منطق رائع وانسجام تام انما يعترف به حتى خصومه ؛ وتلك النظرات تؤلف بمجموعها المادية المعاصرة ، والاشتراكية العلمية المعاصرة ، بوصفها نظرية الحركة العمالية وبرنامجها في جميع البلدان المتمدنة في العالم ؛ وكل هذا يحملنا على أن نقدم لعرض المضمون الرئيسي للماركسية اي مذهب ماركس الاقتصادي ، بلمحة موجزة عن مفهومه للعالم بوجه عام .

المادية الفلسفية

كان ماركس قد اصبح مادياً منذ ١٨٤٤ — ١٨٤٥ ، اي في الفترة التي تكونت فيها افكاره : لقد كان ، بوجه خاص ، من اتباع فورباخ . ولم يقر ماركس بما عند فورباخ من نقاط ضعف ، حتى فيما بعد ، الا من حيث عدم الكفاية في منطق ماديته وشمولها . لقد كان يرى الشأن التاريخي العالمي لفورباخ ، الذي «شغل دهراً» ، في قطيعته النهائية مع مثالية هيغل بالضبط ، ومناداته بالمادية ، هذه المادية التي «لم تكن في القرن الثامن عشر ، وخصوصاً في فرنسا ، نضالاً ضد المؤسسات السياسية الراهنة ، وكذلك ضد

الدين واللاهوت ، وحسب ، بل ايضاً . . . ضد كل ميتافيزيائية» (بمعنى «التأملات المخمورة» خلافاً «للفلسفة الصاحية») (كتاب «العائلة المقدسة» في «التركة الادبية») . وكتب ماركس ايضاً : «يرى هيغل ان عملية التفكير ، هذه العملية التي يحولها حتى تحت اسم الفكرة الى ذات مستقل ، هي «الديميورج» (الخالق ، الصانع) للواقع . . . اما انا فاني ارى العكس : ان المثالي ليس سوى المادي منقولاً الى دماغ الانسان ومحولاً فيه» («رأس المال» ، المجلد الاول . تذييل للطبعة الثانية) . ووفقاً تماماً لفلسفة ماركس المادية هذه ، كتب فريدريك انجلس ، عند شرحه لها في كتابه «ضد دوهرينغ» (**راجعوا**) – وهذا الكتاب قد اطلع عليه ماركس قبل طباعته – «. . . ان وحدة العالم ليست في كيانه ، بل في ماديته . وهذه المادية قد اثبتها . . . تطور طويل وشاق للفلسفة وعلوم الطبيعة . . . الحركة شكل وجود المادة . لم يوجد قط ، ولا يمكن ان يوجد ابداً ، في اي مكان ، مادة بدون حركة ولا حركة بدون مادة . . . واذا تساءلنا . . . عن ماهية الفكر والمعرفة ، وعن مصدرهما ، وجدنا انهما نتاج الدماغ الانساني ، وان الانسان نفسه هو نتاج الطبيعة الذي نما وتطور في محيط طبيعي معين ، ومع هذا المحيط . واذ ذاك يغدو من البداهة ان نتاج دماغ الانسان الذي هو ايضاً ، عند آخر تحليل ، نتاج للطبيعة ، ليس في تناقض بل في انسجام مع سائر الطبيعة» . «لقد كان هيغل مثالياً ، اي ان افكار دماغنا لم تكن ، في نظره ، انعكاسات (في الاصل : Abbilder ، صور ، واحياناً يستعمل انجلس كلمة «نسخ») مجردة ، الى هذا الحد او ذاك ، عن الاشياء والتطورات الواقعية ، بل على العكس من ذلك ، فالأشياء وتطورها كانت في نظر هيغل صوراً تعكس فكرة ما كانت موجودة في مكان ما قبل وجود العالم» . وقد كتب انجلس في مؤلفه «لودفيغ فورباخ» ، الذي عرض فيه افكاره وافكار ماركس حول فلسفة فورباخ ، والذي لم يدفعه الى الطبع الا بعد ان اعاد قراءة المخطوطة القديمة حول هيغل وفورباخ والمفهوم المادي عن التاريخ التي وضعها بالتعاون مع ماركس في ١٨٤٤ – ١٨٤٥ يقول : «ان المسألة الاساسية العظمى في كل فلسفة ، ولا سيما الفلسفة الحديثة ، هي مسألة علاقة الفكر بالكائن ، او علاقة العقل بالطبيعة . . . ايهما

يسبق الآخر ، العقل ام الطبيعة . . . وكان الفلاسفة تبعاً لاجابتهم على هذا السؤال قد انقسموا الى معسكرين كبيرين : فاولئك الذين كانوا يؤكدون اولوية العقل على الطبيعة ويقبلون على هذا النحو ، في آخر تحليل ، بخلق العالم ، اياً كان نوع هذا الخلق . . الّفوا معسكر المثالية . والآخرون ، الذين كانوا يعتبرون الطبيعة المنشــأ الاساسي ، انتموا الى مختلف مدارس المادية» . وكل استعمال آخر لمفهومي المثالية والمادية (الفلسفيتين) يؤدي حتماً الى البلبلة .
وقد نبذ ماركس نبذاً قاطعاً ، ليس فقط المثالية المقرونة ابداً الى الدين ، بشكل او بآخر ، بل نبذ ايضاً وجهة نظر هيوم وكانط المنتشرة خصوصاً في ايامنا هذه ، اللاادرية ، والانتقاديـــة ، والوضعية ، باشكالها المختلفة – اذ انه كان يعتبر هذه الانواع من الفلسفة بمثابة تنازل «رجعي» امام المثالية وفي احسن الاحوال بمثابة «اسلوب جبان يقبل المادية في السر وينكرها في العلن» (١٦) ، وبصدد هذا ، راجعوا ، فضلاً عن مؤلفات انجلس وماركس المذكورة آنفاً ، رسالة ماركس الى انجلس المؤرخة في ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٦٦ ، التي يتحدث فيها عن محاضرة العالم الطبيعي الشهير توماس هكسلي ، ويلاحظ فيها ان هذا العالم قد ظهر «مادياً اكثر» من العادة ، واعترف باننا ما دمنا «نلاحظ ونفكر فعلاً ، فلا نستطيع ابداً ان نبتعد عن المادية» ، ثم يلومه ماركس على انه «ترك ثغرة» للاادرية ولنظرية هيوم . ومن المهم خصوصاً التنبيه الى راي ماركس حول العلاقة بين الحرية والضرورة : «ان الضرورة عمياء ما دامت غير مدركة . الحرية هي ادراك الضرورة» (انجلس . «ضد دوهرينغ») وهذا يعني ، اذن ، الاعتراف بخضوع الطبيعــة للقوانين الموضوعية ، وبتحول الضرورة الديالكتيكي الى حريـــة (كتحول «الشيء بذاته» وغير المدرك ، ولكنه قابل للادراك ، الى «شيء لنا» ، تحول «جوهر الاشياء» الى «ظاهرات»). ان العيب الاساسي في المادية «القديمة» وفي جملتها مادية فورباخ (وبالاحرى المادية «المبتذلة» لبوخنر وفوغت ومولیشوت) هو في نظر ماركس وانجلس : اولاً – ان هذه المادية كانت «ميكانيكية في الغالب» ولم تكن لتأخذ بعين الاعتبار آخر ما توصلت اليه الكيمياء والبيولوجيا (ومن المناسب ان نضيف اليهما في ايامنا هذه النظريـــة الكهربائية للمادة) ،

ثانياً – أن المادية القديمة لم تكن تاريخية ولا ديالكتيكية (كانت ميتافيزيائية بمعنى انها منافية للديالكتيك) ولم تكن تطبق وجهة نظر التطور من جميع نواحيها على نحو منسجم الى النهاية ؛ ثالثاً – انها تفهم «جوهر الانسان» على نحو تجريدي لا بمثابة «مجموعة العلاقات الاجتماعية كافة» (التي يحددها التاريخ على نحو ملموس) . وهكذا لم تقم الا «بتفسير» العالم ، مع ان المقصود كان «تغييره» ، وبتعبير آخر ، ان المادية القديمة لم تكن تدرك شأن «النشاط العملي الثوري» .

الديالكتيك

لقد كان ماركس وأنجلس يريان ديالكتيك هيغل ، باعتباره اكثر مذاهب التطور شمولاً واوفرها مضموناً واشدها عمقاً ، اثمن اكتساب حققته الفلسفة الكلاسيكية الالمانية . وكانا يعتبران كل صيغة اخرى لمبدأ التطور وحيدة الجانب ، فقيرة المضمون ، تشوه وتفسد السير الواقعي للتطور (الذي غالباً ما تصحبه قفزات وكوارث وثورات) في الطبيعة والمجتمع . «اننا كلينا ، ماركس وانا ، كنا وحدنا تقريباً اللذين وضعا نصب أعينهما مهمة انقاذ الديالكتيك الواعي» (عن طريق ذلك المثالية بما فيها الهيغلية) «ونقله الى صعيد المفهوم المادي عن الطبيعة» . «ان الطبيعة هي التأكيد على صحة الديالكتيك ، وان العلوم الطبيعية الحديثة بالضبط تبين ان هذا التأكيد غني للغاية» (كتب هذا قبل اكتشاف الراديوم والالكترونات وتحول العناصر ، الخ . !) «وأنه يتكدس كل يوم معطيات لا تحصى ويبرهن على أن الأمور في الطبيعة تسير ، في آخر التحليـــــل ، على النحو الديالكتيكي ، لا على النحو الميتافيزيائي» (١٧) :

وقال أنجلس أيضاً : «أن الفكرة الاساسية الكبرى التي تقول بأن العالم لا يتألف من أشياء جاهزة ، مكتملة بل هو مجموعة من العمليات يطرأ فيها على الأشياء التي تبدو في الظاهر ثابتة ، وكذلك على انعكاساتها الذهنية في دماغنا ، أي الأفكار ، تغير مستمر من الصيرورة والفناء ، أن هذه الفكرة الاساسية الكبرى قد نفذت على نحو عميق ، منذ هيغل ، في الادراك العام ، حتى أنه يكاد لا يوجد من يعارضها في شكلها العام هذا . ولكن الاعتراف بهذه الفكرة قولاً ،

شيء ، وتطبيقها في الواقع ، في كل حال من الاحوال وفي كل ميدان من ميادين البحث ، شيء آخر» . «ليس هناك من امر نهائي ، مطلق ، مقدس بنظر الفلسفة الديالكتيكية ، فهي ترى على كل شيء وفي كل شيء ، خاتم الهلاك المحتوم ، وليس ثمة شيء قادر على الصمود في وجهها غير الحركة التي لا تنقطع ، حركة الصيرورة والفناء ، حركة التصاعد ابداً دون توقف من الادنى الى الاعلى . وهذه الفلسفة نفسها ليست الا مجرد انعكاس هذه الحركة في الدماغ المفكر» . فالديالكتيك هو ، اذن ، في نظر ماركس ، «علم القوانين العامة لحركة العالم الخارجي والفكر البشري على السواء» (١٨) .

ان هذا الجانب الثوري لفلسفة هيغل هو ما تبناه ماركس ، وطوره . فالمادية الديالكتيكية «ليست بحاجة الى فلسفة تعلو على العلوم الاخرى» . وأن ما يبقى من الفلسفة القديمة هو «التعاليم عن التفكير وقوانينه – المنطق الشكلي ، والديالكتيك» (١٩) . غير ان الديالكتيك حسب مفهوم ماركس ، كما هو حسب مفهوم هيغل ، يشمل ما يسمى اليوم بنظرية المعرفة ، gnoséologie ، التي يجب عليها ان تعالج موضوعها من وجهة نظر تاريخية ايضاً وذلك بأن تدرس وتعمم منشأ المعرفة وتطورها ، اي الانتقال من اللامعرفة الى المعرفة .

في ايامنا ، دخلت فكرة النمو ، فكرة التطور ، على نحو كلي تقريباً ، في الوعي الاجتماعي ، ولكن عن غير طريق فلسفة هيغل . بيد ان هذه الفكرة ، كما صاغها ماركس وانجلس ، بالاستناد الى هيغل ، هي اكثر شمولاً واغنى جداً في محتواها من الفكرة الشائعة عن التطور . تطور يبدو كأنه يعود ويمر بمراحل مقطوعة سابقاً ولكن على نحو آخر وعلى قاعدة ارقى («نفي النفي») ، تطور على نحو لولبي ، اذا صح التعبير ، لا على نحو خط مستقيم ؛ – تطور بقفزات وكوارث وثورات ؛ – «انقطاعات في التدرج» ؛ تحول الكمية الى كيفية ؛ – بواعث داخلية على التطور يبثها التضاد والتصادم بين القوى والاتجاهات المتباينة التي تؤثر في جسم معين ، او تفعل فعلها في حدود ظاهرة معينة ، او في قلب مجتمع معين ؛ – تبعية متبادلة وصلة وثيقة ، لا يمكن فصمها ، بين جميع جوانب كل ظاهرة (والتاريخ يكشف دائماً عن جوانب جديدة

وجديدة) ، صلة تحدد مجرى الحركة العالمي الواحد ، الطبيعي ، — هذه هي بعض سمات الديالكتيك بوصفه مذهباً للتطـــور اغنى مضموناً (من المذهب الشائع) . (قارنوا : رسالة ماركس الى انجلس بتاريخ ٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٦٨ حيث يهزأ من «سفسطات» شتين «المشدودة» ، التي من الحماقة خلطها بالديالكتيك المادي .)

المفهوم المادي للتاريخ

كان ادراك ماركس لخلو المادية القديمة من المنطق ، وعدم اكتمالها ، وطابعها الوحيد الجانب قد آل به الى الاقتناع بضرورة «جعل علم المجتمع منسجماً مع الاساس المادي ، واعادة بنائه وفقاً لهذا الاساس» (٢٠) . واذا كانت المادية بوجه عام ، تفسر الوعي بالوجود ، وليس بالعكس ، فهي تتطلب عند تطبيقها على الحياة الاجتماعية للانسانية ، تفسير الوعي **الاجتماعي** بالوجود **الاجتماعي** . يقول ماركس : «ان التكنولوجية تبرز علاقة الانسان النشيطـة بالطبيعة ، اي العملية المباشرة لانتاج حياته ، وبالتالي ، الظروف الاجتماعية لحياته والتصورات الفكرية التي تنجم عن هذه الظروف» («رأس المال» ، المجلد الاول) (٢١) . وقد اعطى ماركس صيغة مكتملة للموضوعات الاساسية للمادية في تطبيقها على المجتمع البشري وعلى تاريخه ، وذلك في مقدمة كتابه «مساهمة في نقــد الاقتصاد السياسي» ؛قال :

«ان الناس ، اثناء الانتاج الاجتماعي لحياتهم ، يقيمون فيما بينهم علاقات معينة ضرورية ، مستقلة عن ارادتهم . وتطابق علاقات الانتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية .

ومجموع علاقات الانتاج هذه يؤلف البناء الاقتصادي للمجتمع ، اي الاساس الواقعي الذي يقوم عليه بناء فوقي حقوقي وسياسي والذي تطابقه اشكال معينة من الوعي الاجتماعي . ان اسلوب انتاج الحياة المادية يشترط مجرى الحياة الاجتماعي والسياسي والروحي بصورة عامة . فليس وعي الناس هو الذي يعين معيشتهم بل على العكس من ذلك ، معيشتهم الاجتماعية هي التي تعين وعيهم . وعندما تبلغ قوى المجتمع المنتجة المادية درجة معينة من تطورها ، تدخل في تناقض

مع علاقات الانتاج الموجودة او مع علاقات الملكية – وليست هذه سوى التعبير الحقوقي لتلك – التي كانت الى ذلك الحين تتطور ضمنها . فبعد ما كانت هذه العلاقات اشكالاً لتطور القوى المنتجة، تصبح قيوداً لهذه القوى . وعندئذ ينفتح عهد الثورة الاجتماعية . ومع تغير الاساس الاقتصادي يحدث انقلاب في كل البناء الفوقي الهائل ، بهذا الحد او ذاك من السرعة . وعند دراسة هذه الانقلابات ينبغي دائماً التمييز بين الانقلاب المادي لظروف الانتاج الاقتصادية – هذا الانقلاب الذي يُحدّد بدقة العلوم الطبيعية – وبين الاشكال الحقوقية ، والسياسية ، والدينية ، والفنية والفلسفية ، او بكلمة مختصرة ، الاشكال الايديولوجية التي يتصور فيها الناس هذا النزاع ، ويكافحونه .

فكما انه لا يمكن الحكم على فرد وفقاً للفكرة التي لديه عن نفسه ، كذلك لا يمكن الحكم على عهد انقلاب كهذا ، وفقاً لوعيه . فينبغي بالعكس تفسير هذا الوعي انطلاقاً من تناقضات الحياة المادية ، من النزاع القائم بين قوى المجتمع المنتجة وعلاقات الانتاج . . .» «ان اساليب الانتاج ، الاسلوب الاسيوى ، والقديم ، والاقطاعي ، والبرجوازي المعاصر ، مرسومة بخطوطها الكبرى ، يمكن اعتبارها بمثابة عهود متصاعدة من التكون الاجتماعي الاقتصادي . (راجعوا الصيغة الموجزة التي يعطيها ماركس في رسالته الى انجلس بتاريخ ٧ تموز (يوليو) ١٨٦٦ : «نظريتنا حول تحديد تنظيم العمل بواسطة وسائل الانتاج» .)

ان اكتشاف المفهوم المادي عن التاريخ ، او بتعبير أدق ، تطبيق وتوسيع المادية بدأب وانسجام حتى تشمل ميدان الظواهر الاجتماعية ، قد قضى على عيبين رئيسيين في النظريات التاريخية السابقة . اولاً : لم تكن هذه النظريات تأخذ بعين الاعتبار ، في احسن الحالات ، غير الدوافع الفكرية لنشاط الناس التاريخي ، دون ان تبحث عما يولد هذه الدوافع ، دون ان تستشف اي قانون موضوعي في تطور نظام العلاقات الاجتماعية ، دون ان ترى جذور هذه العلاقات في درجة تطور الانتاج المادي ؛ ثانياً : كانت النظريات السابقة تهمل ، على وجه الضبط ، نشاطات **جماهير** السكان بينما مكنت المادية التاريخية ، لاول مرة ، من دراسة الظروف الاجتماعية

لحياة الجماهير وتغيرات هذه الظروف بدقة العلوم الطبيعية والتاريخ . لقد كان «علم الاجتماع» وعلم التاريخ قبل ماركس يكدسان في احسن الحالات وقائع خام مجموعة كيفما اتفق ، ويعرضان بعض الجوانب من حركة تطور التاريخ . لقد دلت الماركسية على الطريق نحو دراسة واسعة شاملة لعملية نشوء تشكيلات المجتمع الاقتصادية وتطورها وانحطاطها ، وذلك بتحليلها مجمل النزعات المتناقضة وردها الى ظروف المعيشة والانتاج ، الواضحة المعالم ، لمختلف طبقات المجتمع ؛ وبابعادها اختيار مختلف الافكار «السائدة» او تأويلها على نحو ذاتي واعتباطي ؛ وبكشفها عن جذور جميع الافكار ، وجميع النزعات المتباينة دون استثناء في اوضاع القوى المنتجة المادية ؛ ان الناس هم صانعو تاريخهم ، ولكن ، ما الذي يحدد دوافعهم ، وخصوصاً ، دوافع الجماهير البشرية ؟ وما هو سبب تصادم الافكار والمطامح المتضادة ؟ وما هو مجموع هذه التصادمات في مجمل المجتمعات البشرية ، وما هي الشروط الموضوعية لانتاج الحياة المادية ، تلك الشروط التي هي اساس كل نشاط الناس التاريخي ؟ وما هو قانون تطور هذه الشروط ؟ – ان ماركس قد اعار انتباهه لكل هذه المسائل ، ودل على طريق الدراسة العلمية للتاريخ بوصفه عملية واحدة تسير وفق قوانين معينة ، رغم كل تعدد جوانبها الهائل ، ورغم كل تناقضاتها .

النضال الطبقي

من المعلوم لدى الجميع انه في كل مجتمع تتصادم مطامح البعض مع مطامع البعض الآخر ، وان الحياة الاجتماعية مليئة بالمتناقضات ، وان التاريخ يكشف لنا عن النضال الذي يقوم بين الشعوب والمجتمعات وداخل الشعوب والمجتمعات ايضاً ، كما انه يبين لنا تعاقب مراحل الثورة والرجعية ، مراحل السلم والحروب ، مراحل الركود والتقدم السريع او الانحطاط . ان الماركسية قد قدمت الخيط الموجّه الذي يتيح اكتشاف قانون موضوعي في هذا المتاه والتشوش الظاهر ، ونعني بهذا الخيط نظرية النضال الطبقي . فقط دراسة

مجمل المطامح لدى جميع اعضاء المجتمع المعني ، او عدد من المجتمعات ، تسمح بتحديد نتيجة هذه المطامح تحديداً علمياً . هذا مع العلم ان المطامح المتناقضة يولدها تباين الاوضاع وظروف الحياة لدى **الطبقات** التي ينقسم اليها كل مجتمع . يقول ماركس في «البيان الشيوعي» : «ان تاريخ جميع المجتمعات حتى يومنا هذا» (ثم يضيف انجلس فيما بعد : ما عدا المشاعية الابتدائية) «لم يكن سوى تاريخ نضال بين الطبقات . فالحر والعبد ، والنبيل والعامي ، والسيد الاقطاعي والقن ، والمعلم والصانع ، اي بالاختصار ، المضطهِدون والمضطهَدون ، كانوا في تناحر دائم ، وكانت بينهم حرب مستمرة ، تارة ظاهرة وتارة مستترة ، حرب كانت تنتهي دائماً اما باعادة بناء كامل صرح المجتمع بطريقة ثورية ، واما بهلاك كل الطبقات المتصارعة ... اما المجتمع البرجوازي الحديث ، الذي خرج من احشاء المجتمع الاقطاعي الهالك ، فانه لم يقض على التناقضات بين الطبقات ، بل اقام طبقات جديدة محل القديمة ، واوجد ظروفاً جديدة للاضطهاد واشكالاً جديدة للنضال بدلاً من القديمة . الا ان الذي يميز عصرنا الحاضر ، عصر البرجوازية ، هو انه جعل التناقضات الطبقية اكثر بساطة : فان المجتمع آخذ بالانقسام ، اكثر فاكثر ، الى معسكرين فسيحين متعاديين ، الى طبقتين كبيرتين متواجهتين هما البرجوازية والبروليتاريا» . ومنذ الثورة الفرنسية الكبرى ، كشف تاريخ اوروبا في عدد من البلدان ، على نحو بدهي خاص ، عن هذا السبب الحقيقي للحوادث ، وهو نضال الطبقات . فمنذ عهد العودة (٢٢) ، ظهر في فرنسا عدد من المؤرخين (تييري ، وغيزو ، وميني ، وتيير) لم يتمكنوا ، عند تعميم الحوادث ، الا ان يعترفوا بان النضال الطبقي هو المفتاح الذي يتيح فهم كل تاريخ فرنسا . ثم ان العهد الحديث ، عهد انتصار البرجوازية التام ، عهد المؤسسات التمثيلية ، وحق الاقتراع الموسع (ان لم يكن العام) ، عهد الصحافة اليومية الزهيدة الثمن ، التي تتغلغل بين الجماهير الخ . ، عهد الجمعيات العمالية الجبارة التي تتسع اكثر فاكثر ، وجمعيات ارباب العمل الخ . ، هذا العهد قد اثبت بمزيد من الجلاء (ولو احياناً على نحو وحيد الجانب و«سلمي» و«دستوري») ان النضال الطبقي هو المحرك للحوادث . ان المقطع التالي من «البيان الشيوعي» يبين لنا ما هي

المطالب التي عرضها ماركس على علم الاجتماع ، من حيث التحليل الموضوعي لاوضاع كل طبقة من طبقات المجتمع الحديث ، بالارتباط مع تحليل شروط تطور كل طبقة : «وليس بين جميع الطبقات التي تجابه الآن البرجوازية الا طبقة واحدة ثورية حقاً هي البروليتاريا . فان جميع الطبقات الاخرى تنحط وتهلك مع نمو الصناعة الكبرى ، اما البروليتاريا فهي نتاج هذه الصناعة بالذات . ان الفئات المتوسطة من صغار الصناعيين ، والباعة بالمفرق ، والحرفيين ، والفلاحين ، تحارب البرجوازية من اجل الحفاظ على وجودها بوصفها فئات متوسطة . فهي ليست اذن ثورية ، بل محافظة ، واكثر من محافظة ايضاً ، انها رجعية : فهي تحاول دفع عجلة التاريخ الى الوراء . واذا كانت ثورية فذلك بقدر ما ينتظرها الانتقال الى صفوف البروليتاريا ، وبقدر ما تدافع عن مصالحها المقبلة وليس عن مصالحها الحالية ، وهي تتخلى عن وجهة نظرها الخاصة لتتبنى وجهة نظر البروليتاريا» . وفي جملة من المؤلفات التاريخية (راجعوا **دليل المراجع**) اعطى ماركس امثلة ساطعة وعميقة عن علم التاريخ المادي ، وعن تحليل اوضاع كل طبقة بذاتها ، واحياناً اوضاع مختلف الجماعات والفئات داخل الطبقة الواحدة ، وبيّن بكل جلاء لماذا وكيف «ان كل نضال طبقي هو نضال سياسي» . ان المقطع الذي استشهدنا به آنفاً يبين بوضوح ، كم هي معقدة شبكة العلاقات الاجتماعية ، والدرجات **الانتقالية** بين طبقة واخرى ، وبين الماضي والمستقبل ، التي يحللها ماركس لكي يراعي محصل التطور التاريخي كله .

ان نظرية ماركس تجد تأكيدها وتطبيقها الاكثر عمقاً وشمولاً وتفصيلاً ، في مذهبه الاقتصادي .

مذهب ماركس الاقتصادي

يقول ماركس في مقدمة كتابه «رأس المال» : «ان الهدف النهائي لهذا الكتاب هو الكشف عن القانون الاقتصادي لحركة المجتمع القائم حالياً» اي المجتمع الرأسمالي ، البرجوازي . فدراسة علاقات الانتاج

في هذا المجتمع المحدد تاريخياً ، من حيث نشوؤها وتطورها وزوالها ، ذلك هو مضمون مذهب ماركس الاقتصادي . وفي المجتمع الرأسمالي يسود انتاج **البضائع** . ولهذا يبدأ تحليل ماركس بتحليل البضاعة .

القيمة

البضاعة هي ، اولاً ، شيء يسد حاجة من حاجات الانسان وهي ، ثانياً شيء يمكن مبادلته بشيء آخر . ان منفعة شيء ما تجعله **قيمة استهلاكية** . أما القيمة التبادلية (او القيمة ، باختصار) فهي ، قبل كل شيء ، العلاقة ، النسبة ، في مبادلة عدد من القيم الاستهلاكية من نوع ما بعدد من القيم الاستهلاكية من نوع آخر . ان التجربة اليومية تبين لنا ان الملايين والمليارات من مثل هذه المبادلات تعمل ، دون انقطاع ، على المعادلة بين جميع القيم الاستهلاكية الاكثر تنوعاً ، والاكثر تبايناً . فما هو العنصر المشترك بين هذه الاشياء المختلفة التي تجرى معادلة بعضها ببعض باستمرار في ظل نظام معين من العلاقات الاجتماعية ؟ ان العنصر المشترك بينها ، هو كونها **نتاجات عمل** . فعندما يتبادل الناس منتجاتهم ، يعادلون بين انواع العمل الاكثر تبايناً . ان انتاج البضائع هو نظام من العلاقات الاجتماعية يصنع فيه شتى المنتجين منتجات متنوعة (التقسيم الاجتماعي للعمل) ثم تجرى المعادلة بين جميع هذه المنتجات اثناء التبادل . وبالتالي ، ان العنصر المشترك بين جميع البضائع ليس هو العمل الملموس في فرع معين من الانتاج ، وليس هو عملاً من نوع معين ، بل هو العمل الانساني **المجرّد** ، العمل الانساني بوجه عام . ففي مجتمع معين ، تعتبر كل قوته العاملة الممثلة في مجموع قيم كل البضائع ، قوة عمل انساني واحدة موحدة . والدليل على ذلك المليارات من وقائع التبادل . وهكذا ، فكل بضاعة مأخوذة بمفردها لا تمثل سوى جزء ما من وقت العمل **الضروري اجتماعياً** . ان مقدار القيمة يتحدد بكمية العمل الضروري اجتماعياً ، او بوقت العمل الضروري اجتماعياً لانتاج بضاعة معينة ، اي قيمة استهلاكية معينة . «ان المنتجين ، حين يعادلون بين منتجاتهم المختلفة في سياق تبادلها ، يعادلون

بذلك بين انواع عملهم المختلفة ؛ وهم لا يدركون ذلك ولكنهم يفعلونه» (٢٣) .

لقد قال اقتصادي قديم : ان القيمة هي العلاقة بين شخصين . وكان عليه أن يضيف فقط الى قوله هذا : علاقة مغلفة بغلاف مادي . ذلك انه لا يمكن فهم ماهية القيمة الا بالاستناد الى نظام علاقات الانتاج الاجتماعية لتشكيلة تاريخية معينة ، اي العلاقات التي تتجلى في ظاهرة التبادل ، هذه الظاهرة الجماهيرية التي تتكرر مليارات المرات . «ان البضائع ، بوصفها قيماً ، ليست الا كميات محددة من وقت العمل المتجمد» (٢٤) . وبعد تحليل مفصل للصفة المزدوجة للعمل المتجسد في البضائع ، ينتقل ماركس الى تحليل **اشكال القيمة والعملة (النقد)** . والمهمة الرئيسية التي يضعها نصب عينيه اذ ذاك هي دراسة **اصل** الشكل النقدي للقيمة ، دراسة **المجرى** التاريخي لتطور التبادل ، ابتداء من اعمال التبادل الافرادية والعرضية («شكل بسيط ، منفرد او طارئ للقيمة» : كمية معينة من بضاعة ما تُبادل مقابل كمية معينة من بضاعة اخرى) حتى الشكل العام للقيمة عندما يُبادل عدد من البضائع المختلفة ببضاعة واحدة معينة ، وحتى الشكل النقدي للقيمة حيث يصبح الذهب تلك البضاعة المعينة ، اي المعادل العام . ان النقد ، بوصفه المحصول الاعلى لتطور التبادل والانتاج البضاعي يطمس ويقنّع الصفة الاجتماعية للعمل الفردي ، اي العلاقة الاجتماعية بين المنتجين المنفردين الذين تجمع السوق شملهم . ويخضع ماركس لتحليل مفصل الى اقصى حد، شتى وظائف النقد . هنا ، ومن المهم جداً ان نلاحظ هنا ايضاً (كما في جميع الفصول الاولى من كتاب «رأس المال») ان عرضه المجرد الذي يبدو احياناً استدلالياً صرفاً ، يقدم وفرة وفيرة من الوقائع حول تاريخ تطور التبادل والانتاج البضاعي . «ان النقد يفترض مستوى رفيعاً الى حد معين من التبادل البضاعي . ان شتى اشكال النقد – كمعادل بسيط للبضاعة ، او وسيلة للتداول ، او وسيلة للدفع ، وكنز مخزون ، ونقد عالمي – تدل ، وفقاً لاختلاف ابعاد استخدام هذه الوظيفة او تلك ، ولنسبة تفوق وظيفة على اخرى ، على مراحل مختلفة جداً من عملية الانتاج الاجتماعية» («رأس المال» ، المجلد الاول) (٢٥) .

. في درجة ما من تطور الانتاج البضاعي يتحول النقد الى رأس مال . لقد كانت صيغة التداول البضاعي : ب(بضاعة) – ن(نقد) – ب (بضاعة) ، اي بيع بضاعة في سبيل شراء غيرها . اما صيغة راس المال العامة فهي بالعكس : ن – ب – ن ، اي شراء في سبيل بيع (مع ربح) . ان هذه الزيادة في القيمة الاولى للنقد الذي وضع قيد التداول هي ما يسميه ماركس القيمة الزائدة . و«زيادة» المال هذه في مجرى التداول الرأسمالي واقع معروف لدى الجميع . ان هذه «الزيادة» بعينها هي التي تحول المال الى **راسمال** بوصفه علاقة انتاج اجتماعية خاصة ، محددة تاريخياً . ولا يمكن للقيمة الزائدة ان تنجم عن التداول البضاعي لان هذا التداول لا يعرف سوى تبادل اشياء متعادلة ؛ ولا يمكن لها ان تنجم عن ارتفاع الاسعار لان الخسائر والارباح المتبادلة لدى كل من الشارين والبائعين تتوازن ؛ والحال ان الأمر يتعلق بظاهرة اجتماعية وسطية ومعممة ، لا بظاهرة فردية . فمن اجل الحصول على القيمة الزائدة ، «لا بد لصاحب المال من العثور على بضاعة في السوق ، تتميز قيمتها الاستهلاكية ذاتها بخاصية اصيلة هي ان تكون مصدراً للقيمة» (٢٦) ، اي بضاعة ، تكون عملية استهلاكها في الوقت نفسه عملية خلق القيمة . وبالفعل ، هذه البضاعة موجودة : انها قوة العمل الانساني . ان استهلاكها انما هو العمل ، والعمل يخلق القيمة . ان صاحب المال يشتري قوة العمل بقيمتها التي يحددها ، مثل قيمة كل بضاعة اخرى ، وقت العمل الضروري اجتماعياً لانتاجها (اي نفقات اعالة العامل وعائلته) . وحين يشتري صاحب المال قوة العمل يصبح من حقه ان يستهلكها ، اي ان يجعلها تعمل طوال النهار ، ولنقل ١٢ ساعة . ولكن العامل ، حين يشتغل ٦ ساعات (اي وقت العمل «الضروري») ينتج ما يغطي نفقات إعالته ، وفي الساعات الست الاخرى (اي وقت العمل «الزائد») ينتج منتوجاً «زائداً» ، لا يدفع الراسمالي اجرة عنه ، اي يخلق القيمة الزائدة . وبالتالي ، ومن وجهة نظر عملية الانتاج ، يجب ان نميز قسمين في الراسمال : الرأسمال الثابت الذي ينفق على وسائل الانتاج (آلات ، وادوات عمل ، ومواد خام ، الخ .) وتنتقل قيمته كما

هي (دفعة واحدة او دفعات) الى المنتوج الجاهز ، والرأسمال المتغير (المتحرك) الذي ينفق على قوة العمل . وقيمة هذا الرأسمال لا تظل ثابتة ، بل تنمو في عملية الانتاج ، اذ تخلق القيمة الزائدة . وعليه ، من اجل التعبير عن درجة استثمار الرأسمال لقوة العمل ، يجب مقارنة القيمة الزائدة ، لا بالراسمال كله ، بل بالرأسمال المتغير وحده . ان معدل القيمة الزائدة ، الاسم الذي اطلقه ماركس على هذه العلاقة ، سيكون في مثلنا ٦/٦ او ١٠٠ بالمئة .

ان المقدمة التاريخية لظهور الرأسمال ، هي ، اولاً ، تراكم كمية معينة من النقد في ايدي عدد من الافراد ، وفي ظل مستوى رفيع نسبياً لتطور الانتاج البضاعي عموماً ؛ وهي ، ثانياً ، وجود عمال «احرار» من وجهتين : من وجهة انهم احرار من كل تضييق ومن كل تقييد في بيع قوة عملهم ، واحرار ، لانهم لا يملكون ارضاً ولا وسائل انتاج بوجه عام ، اي وجود عمال بدون استثمارة ، وجود عمال «بروليتاريين» لا يستطيعون العيش بغير بيع قوة عملهم .

ان زيادة القيمة الزائدة امر يمكن تحقيقه بطريقتين اساسيتين : تطويل يوم العمل («قيمة زائدة مطلقة») ، وانقاص يوم العمل الضروري («قيمة زائدة نسبية») . وعندما يحلل ماركس الطريقة الاولى ، يرسم لوحة رائعة لنضال الطبقة العاملة في سبيل انقاص يوم العمل ، ولتدخل سلطة الدولة في سبيل تطويله (من القرن الرابع عشر الى القرن السابع عشر) وفي سبيل انقاصه (تشريع المصانع في القرن التاسع عشر) . ومنذ نشر كتاب «رأس المال» ، قدم تاريخ الحركة العمالية في جميع البلدان المتمدنة في العالم عدداً لا يحصى من الوقائع الجديدة التي تبرهن على صدق هذه اللوحة .

ان ماركس ، عند تحليله انتاج القيمة الزائدة النسبية ، يدرس المراحل التاريخية الاساسية الثلاث لزيادة انتاجية العمل من قبل الراسمالية : ١) التعاون البسيط ؛ ٢) تقسيم العمل والمانيفاكتورة ؛ ٣) الآلات والصناعة الكبرى . ان العمق الذي يكشف به ماركس الخطوط الاساسية النموذجية لتطور الرأسمالية ، يظهر ، فيما يظهر ، من كون دراسة الصناعة المسماة الصناعة «الحرفية» في روسيا تقدم ادلة وافرة جداً تلقي النور على المرحلتين الاوليين من هذه المراحل الثلاث . اما تأثير الصناعة الآلية الضخمة الثوري الذي

وصفه ماركس في ١٨٦٧ ، فقد تكشف خلال نصف القرن المنصرم منذ ذلك الحين في عدة بلدان «جديدة» (روسيا واليابان وغيرهما) .

وبعد ، ان الامر الجديد والهام الى اقصى حد عند ماركس ، هو تحليل **تراكم الرأسمال** اي تحول قسم من القيمة الزائدة الى رأسمال ، واستعماله لا لسد حاجات الرأسمالي الشخصية ، او لارضاء نزواته ، بل للانتاج من جديد . لقد اشار ماركس الى خطأ الاقتصاد السياسي الكلاسيكي السابق كله (ابتداء من آدم سميث) الذي يعتبر ان كل القيمة الزائدة التي تتحول الى رأسمال ، تذهب الى الرأسمال المتغير . اما في الواقع فهي تنقسم الى **وسائل انتاج** ورأسمال متغير . وفي عملية تطور الرأسمالية وتحولها الى اشتراكية يتسم بأهمية هائلة واقع ازدياد حصة الرأسمال الثابت (من اصل مجمل الرأسمال) بمزيد من السرعة ، بالقياس الى حصة الرأسمال المتغير .

ان تراكم الرأسمال ، بتعجيله في احلال الآلة محل العمال ، بتوفيره الثراء في قطب ، والبؤس في قطب آخر ، يخلق ايضاً ما يسمى «بجيش العمل الاحتياطي» او «الفائض النسبي» من العمال ، او «فيض السكان الرأسمالي» الذي يرتدي اشكالاً متنوعة الى اقصى حدود التنوع ، ويمكن الرأسمال من ان يوسع الانتاج بسرعة بالغة . ان هذه الامكانية ، اذا نسقت مع التسليف وتراكم الرأسمال بشكل وسائل انتاج ، تعطينا ، فيما تعطيه ، مفتاحاً لفهم **ازمات** فيض الانتاج التي كانت تنشب على نحو دوري في البلدان الرأسمالية ، في البدء مرة في كل عشر سنوات تقريباً ، ومن ثم ، في فترات اقل تقارباً واقل ثباتاً . ويجب التمييز بين تراكم الرأسمال على اساس الرأسمالية ، والتراكم المسمى بالتراكم البدائي الذي يتجلى في فصل الشغيل بالعنف عن وسائل الانتاج ، وطرد الفلاحين من اراضيهم ، وسرقة الاراضي المشاعية ، ونظام المستعمرات ، والديون العامة ، ورسوم الحماية الخ . . ان «التراكم البدائي» يخلق البروليتاري «الحر» في قطب ، وفي قطب آخر ، القابض على المال ، الرأسمالي .

ويصف ماركس «**الاتجاه التاريخي للتراكم الرأسمالي**» بهذه العبارات المشهورة : «ان انتزاع ملكية المنتجين المباشرين يتم بأشد الوسائل همجية وبلا شفقة ، وبدافع من أحط المشاعر ، وأحقرها ،

وأشدها تفاهة وتكالباً . فالملكية الخاصة المكتسبة بعمل المالك» (عمل الفلاح والحرفي) «والقائمة ، اذا جاز التعبير ، على اندماج الشغيل الفردي المستقل مع ادواته ووسائله للعمل ، تزيحها الملكية الخاصة الرأسمالية التي ترتكز على استثمار قوة عمل الغير التي تعتبر مع ذلك حرة شكلياً . . . اما من يتعرض الآن لانتزاع ملكيته ، فليس هو العامل الذي يدير بنفسه استثمارته ، بل الرأسمالي الذي يستثمر العديد من العمال . ان انتزاع الملكية هذا ، يتم بفعل القوانين الملازمة للانتاج الرأسمالي نفسه عن طريق تمركز الرساميل . ان رأسمالياً واحداً يقضي على الكثيرين من امثاله . والى جانب هذا التمركز ، اي انتزاع بعض الرأسماليين ملكية عدد كبير من امثالهم ، يتطور الشكل التعاوني لعملية العمل على نطاق يتسع اكثر فاكثر ، كما يتطور تطبيق العلم على التكنيك تطبيقاً فطناً ومتعقلاً ، واستثمار الارض استثماراً منهاجياً ، وتحويل وسائل العمل الى وسائل للعمل لا يمكن استعمالها الا استعمالاً مشتركاً ، وادخال جميع وسائل الانتاج في حلبة الاقتصاد باستعمالها كوسائل انتاج لعمل اجتماعي مركّب ، وجر جميع الشعوب الى شبكة السوق العالمية ؛ وفي الوقت نفسه ، تتطور الصفة العالمية للنظام الرأسمالي . ومع التناقص المستمر لعدد دهاقنة الرأسمال الذين يغتصبون ويحتكرون جميع منافع عملية التحول هذه ، يزداد عبء البؤس والظلم والاستعباد والانحطاط والاستثمار ، ولكن يزداد ايضاً سخط الطبقة العاملة ، التي تتثقف وتتحد وتتنظم بفعل آلية عملية الانتاج الرأسمالي نفسها . وهكذا يصبح احتكار الرأسمال قيداً لاسلوب الانتاج الذي نشأ مع هذا الاحتكار وفي ظله . ان تمركز وسائل الانتاج ، وجعل العمل اجتماعياً ينتهيان الى حد انهما لا يعودان يتطابقان مع غلافهما الرأسمالي ، فينفقع . ان الساعة الاخيرة للملكية الخاصة الرأسمالية تدق . ان مغتصبي الملكية تنتزع منهم ملكيتهم» («رأس المال» ، المجلد الاول) (٢٧) .

ثم ، ان ما هو مهم للغاية وجديد انما هو تحليل ماركس في المجلد الثاني من «رأس المال» لتجديد انتاج الرأسمال الاجتماعي بمجموعه . وهنا ايضاً لا يأخذ ماركس ظاهرة فردية بل ظاهرة عامة ، لا جزءاً من الاقتصاد الاجتماعي بل الاقتصاد الاجتماعي

بكليته . ان ماركس ، عند اصلاحه خطأ الكلاسيكيين المشار اليه آنفاً ، يقسم مجموع الانتاج الاجتماعي الى قسمين كبيرين : اولاً ، انتاج وسائل الانتاج ، وثانياً ، انتاج سلع الاستهلاك . ثم ، بالاستناد الى ارقام يأخذها على سبيل المثال ، يدرس درساً دقيقاً تداول الرأسمال الاجتماعي بمجموعه ، سواء لدى تجديد الانتاج بمقاييسه السابقة ام لدى التراكم . وفي المجلد الثالث من «رأس المال» تجد مسألة المعدل الوسطي للربح حلاً لها بالاستناد الى قانون القيمة . وانها لخطوة عظيمة خطاها العلم الاقتصادي الى الامام ، بفضل ماركس ، ونعني بها قيامه بهذا التحليل انطلاقاً من الظواهر الاقتصادية الواسعة ، مجموع الاقتصاد الاجتماعي ، لا من ظواهر عرضية او من مظهر المزاحمة الخارجي السطحي ، الامر الذي غالباً ما يكتفي به الاقتصاد السياسي المبتذل و«نظرية حدود المنفعة» (٢٨) الحديثة . ان ماركس يحلل ، في الدرجة الاولى ، اصل القيمة الزائدة ليدرس بعد ذلك انقسامها الى ربح ، وفائدة ، وريع عقاري . ان الريع هو نسبة القيمة الزائدة الى مجموع الرأسمال الموظف في مشروع ما . والرأسمال «ذو التركيب العضوي العالي» (اي الذي يربو فيه الرأسمال الثابت على الرأسمال المتغير بنسب اعلى من المعدل الاجتماعي الوسطي) ، يعطي معدلاً من الربح ادنى من المعدل الوسطي . والرأسمال «ذو التركيب العضوي المنخفض» يعطي معدلاً من الربح اعلى من المعدل الوسطي . ان تزاحم الرساميل وانتقالها الحر من فرع الى آخر يحملان في الحالتين معدل الربح الى المعدل الوسطي . ان مجموع قيم جميع البضائع في المجتمع المعني يوازي مجموع اثمان البضائع . ولكن ، في مختلف المشروعات وفي مختلف الفروع الانتاجية تباع البضائع ، بفعل المزاحمة ، لا بحسب قيمتها بل **باسعار الانتاج** (او بالاسعار الانتاجية) التي تعادل الرأسمال المصروف مضافاً اليه الربح الوسطي .

وهكذا ، ان انحراف السعر عن القيمة ، وتساوي الربح ، — الواقع الذي لا يقبل الجدل والمعروف لدى الجميع ، — يوضحه ماركس تمام الايضاح بالاستناد الى قانون القيمة ، اذ ان مجموع قيم جميع البضائع يعادل مجموع اسعارها . ولكن الطريق من القيمة

(الاجتماعية) الى الاسعار (الافرادية) ليس بسيطاً ومباشراً ، بل طريق معقد جداً : فمن الطبيعي تماماً ، في مجتمع يكون فيه منتجو البضائع ، متفرقين وعير مرتبطين فيما بينهم الا بواسطة السوق ، ان لا يتجلى مفعول القانون الا بصورة وسطية ، اجتماعية ، عامة ، مع القضاء المتبادل على الانحرافات الافرادية نحو هذه الجهة او تلك .

ان ازدياد انتاجية العمل يعني نمواً اسرع في الرسمال الثابت بالقياس الى الرأسمال المتغير . ولكن ، لما كانت القيمة الزائدة لا ترتبط الا بالرأسمال المتغير ، فمن المفهوم ان يميل معدل الربح (اي نسبة القيمة الزائدة الى مجموع الرأسمال لا الى القسم المتغير منه فقط) الى الهبوط . ان ماركس يحلل تحليلاً مفصلاً هذا الميل ، كما يحلل الظروف التي تقنّعه او تعاكسه . ودون ان نتوقف عند الفصول البالغة الاهمية في المجلد الثالث المكرسة لرأسمال الربا والرأسمال التجاري والرأسمال النقدي ، ننتقل الى الشيء الرئيسي ، الا وهو نظرية **الريع العقاري** . لما كانت مساحة الارض محدودة ، ويشغلها تماماً في البلدان الرأسمالية ملاكون فرديون ، اصبح سعر انتاج المنتجات الزراعية لا يتحدد بكلفة الانتاج على أرض وسطية النوع ، بل على أرض من النوع الأسوأ ، ولا بالظروف الوسطية لايصال المنتجات الى السوق ، بل بالظروف الأسوأ . ان الفرق بين هذا السعر ، وسعر الانتاج على أجود أرض (او في احسن الظروف) يعطي الريع الفرقي او **المتفاوت** . ان ماركس ، بالاستناد الى تحليل مفصل لهذا الريع ، والى تبيان نشوئه لدى التفاوت (الفرق) في خصوبة الاراضي ولدى تفاوت (فرق) مقادير الرساميل الموظفة في الزراعة ، قد اوضح تماماً (راجعوا ايضاً «نظريات القيمة الزائدة» حيث يستحق انتقاد رودبرتوس اهتماماً خاصاً) خطأ ريكاردو الذي يزعم ان الريع الفرقي لا يحصل الا بالانتقال المتتابع من اراض اكثر جودة ، الى اراض اقل جودة . فالامر على خلاف ذلك : فان تغيرات معاكسة تحدث ايضاً . فالاراضي من فئة معينة تتحول الى اراض من فئة اخرى (بفعل تقدمُ التكنيك الزراعي ونموّ المدن ، الخ .) ، ولذا يبدو القانون الشهير ، «قانون تناقص خصب التربة» ، خطأ فادحاً ويلقي عيوب الرأسمالية ، ومحدودياتها ، وتناقضاتها ، على كاهل

الطبيعة . ثم ان تساوي الربح في جميع فروع الصناعة والاقتصاد الوطني بوجه عام يفترض حرية تامة في المزاحمة ، وحرية نقـل الرأسمال من فرع الى آخر . ولكن الملكية الخاصة للارض تخلق احتكاراً وعقبة في وجه حرية النقل هذه . ان منتجات الزراعة التي تتميز بتركيب عضوي منخفض في رأسمالها ، والتي تعطي ، بالتالي ، معدلاً اعلى للربح الفردي ، لا تدخل ، بفعل هذا الاحتكار ، في عملية تساوي معدل الربح الحرة تماماً ؛ فمالك الارض ، بصفته محتكراً ، يتمكن من ابقاء السعر في مستوى اعلى من الوسط ، وهذا السعر الاحتكاري يخلق الريع **المطلق** . ان الريع الفرقي لا يمكن القضاء عليه في ظل النظام الراسمالي ، وعكساً لذلك ، **يمكن** القضاء على الريع المطلق ، بتأميم الارض مثلاً ، عندما تصبح الارض ملكاً للدولة . ان انتقال الارض الى الدولة على هذا النحو من شأنه ان يقوض احتكار الملاكين الخاصين ، كما من شأنه ان يؤمن حرية المزاحمة في الزراعة بمزيد من الانسجام والاستكمال . ولهذا ، كما يقول ماركس ، تقدم البرجوازيون الراديكاليون ، اكثر من مرة في التاريخ ، بهذا المطلب البرجوازي التقدمي القائل بتأميم الارض ، هذا المطلب الذي يخيف ، مع ذلك ، اكثرية البرجوازية ، لانه «يمس» عن قرب قريب احتكاراً آخر ، له في ايامنا هذه اهمية خاصة و«حساسية» خاصة ، هو احتكار وسائل الانتاج بوجه عام . (ان هذه النظرية حول الربح الوسطي للرأسمال وحول الريع العقاري المطلق قد عرضها ماركس باسلوب رائع ، بسيط ومختصر وواضح ، في رسالته الى انجلس بتاريخ ٢ آب (اغسطس) سنة ١٨٦٢ . راجع «المراسلات» ، المجلد الثالث ، ص ٧٧–٨١ ، ورسالته المؤرخة في ٩ آب (اغسطس) سنة ١٨٦٢ ، ص ٨٦–٨٧ ، المصدر نفسه) . — وبصدد تاريخ الريع العقاري ، من المهم كذلك الاشارة الى تحليل ماركس الذي يبين تحول الريع – السخرة (عندما يخلق الفلاح نتاجاً اضافياً بعمله في ارض الملاك) الى ريع بمحاصيل او ريع عيني (عندما يخلق الفلاح على ارضه نتاجاً اضافياً يقدمه للملاك بحكم «الاكراه غير الاقتصادي») ، ثم الى ريع نقدي (وهو ريع عيني محول الى نقد – «اوبروك» (اي اتاوة) في روسيا القديمة – بسبب تطور الانتاج البضاعي) ؛ واخيراً الى ريع رأسمالي ، عندما يحل محل

الفلاح في الزراعة رب عمل يزرع الارض باللجوء الى العمل المأجور. ولنشر بصدد هذا التحليل «لاصل الريع العقاري الرأسمالي» ، الى جملة من افكار ماركس العميقة (ذات الاهمية الخاصة بالنسبة للبلدان المتأخرة كروسيا ، مثلاً) حول **تطور الرأسمالية في الزراعة** . «مع تحول الريع العيني الى ريع نقدي ، تتكون بالضرورة ، في الوقت نفسه ، وحتى مسبقاً ، طبقة من المياومين المعدمين الذين يعملون بالأجرة . وفي مرحلة نشوء هذه الطبقة ، اي حين تظهـــر بصورة متفرقة فقط ، يكون الفلاحون الميسورون الملزمون بدفع اتاوة ، قد اعتادوا ، بالطبع ، استثمار الاجراء الزراعيين لحسابهم الخاص ، كما كان يحدث تماماً في النظام الاقطاعي ، حيث كان للفلاحين الاقنان الميسورين اقنانهم ايضاً . ومن هنا كانت تتوافر لهم امكانية جمع الثروة شيئاً فشيئاً وتحويل انفسهم الى رأسماليين مقبلين . وهكذا ، تتكون بين مالكي الارض القدماء ممن يديرون استثمارات مستقلة بيئة تنبت مستأجري الاراضي الرأسماليين الذين يرتبط تطورهم بالتطور العام للانتاج الرأسمالي خارج الزراعة» («رأس المال» ، المجلد الثالث ، ٢ ، ص ٣٣٢) (٢٩) . . . «ان انتزاع ملكية قسم من سكان الأرياف وطردهم من الريف لا «يحرران» عمالاً ووسائلهم للعيش وادواتهم للعمل ، من اجل الرأسمال الصناعي وحسب ، بل يخلقان السوق الداخلية ايضاً» («رأس المال» ، المجلد الاول ، ٢ ، ص ٧٧٨) (٣٠) . ان املاق وخراب سكان الارياف يسهمـــان ، بدورهما ، في انشاء جيش احتياطي من العمال للرأسمال . لهذا ، في كل بلد رأسمالي «يوجد قسم من سكان الارياف يوشك على الدوام ان يتحول الى سكان مدن ، او الى سكان يعملون في المانيفاكتورات (اي غير زراعيين) . وهذا الينبوع لفيض السكان النسبي لا ينضب ابداً. . . فالعامل الزراعي مكره على تقاضي الحد الادنى من الاجرة ؛ ويقف دائماً على احدى رجليه في مستنقع الاملاق» («رأس المال» ، المجلد الاول ، ٢ ، ص ٦٦٨) (٣١) . ان ملكية الفلاح الخاصة للارض التي يزرعها تؤلف اساس الانتاج الصغير ، تؤلف الشرط الذي يسمح لهذا الانتاج بان يزدهر ويأخذ شكلاً كلاسيكياً . ولكن هذا الانتاج الصغير لا يتفق الا مع الاطارات البدائية الضيقة للانتاج والمجتمع . ففي ظل الرأسمالية «لا يتميز استثمار الفلاحين عـــن

استثمار البروليتاريا الصناعية الا من حيث الشكل . فالمستثمر هو هو ، اي الرأسمال . ان الراسماليين ، كلا بمفرده ، يستثمرون الفلاحين ، كلا بمفرده ، بواسطة الرهن والربا . ان طبقة الرأسماليين تستثمر طبقة الفلاحين بواسطة الضرائب الحكومية» («نضال الطبقات في فرنسا») (٣٢) . ان قطعة ارض الفلاح الصغيرة لم تعد سوى ذريعة تتيح للرأسمالي ان يجني من الارض ربحاً وفائدة وريعاً ، وان يترك لمالك الارض نفسه امر الاهتمام بالطريقة التي يراها ناجحة للحصول على اجرته» («١٨ بروميز») (٣٣) . بل ان الفلاح يقدم عادة الى المجتمع الرأسمالي ، اي الى طبقة الراسماليين ، قسماً من اجرته ، ويقع على هذا النحو «في حالة المكترى الارلندي ، مع احتفاظه بمظهر المالك الفردي» («نضال الطبقات في فرنسا») (٣٤) . فما هو اذن «احد الاسباب التي تؤدي الى ان يكون سعر الحبوب في البلدان التي تسود فيها الملكية العقارية الفلاحية الصغيرة اقل منه في البلدان ذات اسلوب الانتاج الرأسمالي» ؟ («رأس المال» ، المجلد الثالث ، ٢ ، ص ٣٤٠) ذلك ان الفلاح يقدم مجاناً الى المجتمع (اي الى طبقة الرأسماليين) قسماً من نتاجه الزائد . «ان هذا السعر المنخفض (اي سعر الحبوب وبقية المنتجات الزراعية) ينجم اذن عن فقر المنتجين ولا ينجم ابداً عن انتاجية عملهم» («رأس المال» ، المجلد الثالث ، ٢ ، ص ٣٤٠) . فان الملكية العقارية الصغيرة ، التي هي الشكل العادي للانتاج الصغير ، تتدهور في ظل الرأسمالية وتبيد وتهلك . «ان الملكية العقارية الصغيرة تنفي ، بحكم طبيعتها ، ما يلي : تطور قوى العمل المنتجة الاجتماعية ، واشكال العمل الاجتماعية ، وتمركز الرساميل الاجتماعي ، وتربية المواشي على نطاق كبير ، وتطبيق العلم تطبيقاً مطرداً . ان الربا ونظام الضرائب يحتمان خراب الملكية العقارية الصغيرة في كل مكان . والرأسمال الموظف لشراء الارض ينتزع من الزراعة . ووسائل الانتاج تجزأ الى ما لا نهاية . والمنتجون انفسهم يتبعثرون» . (ان التعاونيات ، اي جمعيات الفلاحين الصغار ، التي تقوم باعظم دور تقدمي برجوازي ، يمكنها ان تضعف فقط هذا الميل ، دون ان تمحوه ؛ ويجب ان لا ننسى ايضاً ان هذه التعاونيات تعطي كثيراً للفلاحين الميسورين ، ولكنها تعطي قليلاً جداً لجمهور الفلاحين الفقراء او لا تعطيهم شيئاً

تقريباً ، ثم ان الامر ينتهي بهذه الجمعيات الى ان تصبح هي نفسها مستغلات للعمل المأجور) . «فهناك تبذير هائل للقوة الانسانية . ان تردي ظروف الانتاج باطراد ، وارتفاع اسعار وسائل الانتاج ، هما قانونان ملازمان للملكية العقاريـــة الصغيرة» (٣٥) . فان الرأسمالية لا تحول عملية الانتاج في الزراعة ، كما في الصناعة ، الا بتوسيع «قائمة الشهداء المنتجين» . «ان تبعثر العمال الزراعيين على مساحات شاسعة يحطم قوة مقاومتهم ، في حين ان تجمع عمال المدن يزيد من قوة مقاومتهم . وفي الزراعة الحديثة الرأسمالية ، كما في الصناعة الحديثة ، يتم التوصل الى انماء قوة العمل المنتجة ، والى زيادة تحركها عن طريق تحطيم قوة العمل بالذات ، واستنفادها . ثم ان كل تقدم للزراعة الراسمالية هو تقدم لا في فن نهب الشغيل وحسب ، بل في فن نهب التربة ايضاً . . . فالانتاج الرأسمالي اذن لا يطور التكنيك وتنسيق عملية الانتاج الاجتماعية الا باستنزافه في الوقت نفسه الينبوعين اللذين تنبثق منهما كل ثروة : الارض ، والشغيل» («رأس المال» ، المجلد الاول ، نهاية الفصل الثالث عشر) .

الاشتراكية

نرى مما تقدم ، ان ماركس يستخلص استنتاجه عن حتمية تحول المجتمع الرأسمالي الى مجتمع اشتراكي بصورة تامة وعلى وجه الحصر من القانون الاقتصادي لحركة المجتمع الحديث . ان عملية جعل العمل اجتماعياً التي تتقدم بسرعة متزايدة ابداً وتجرى بألوف الاشكال ، والتي تتجلى بوضوح خاص ، خلال نصف القرن الذي انقضى على وفاة ماركس ، في تنامى الصناعة الكبيرة والكارتيلات والسنديكات والتروستات الرأسمالية ، وفي التزايد الهائل لمقادير الرأسمال المالي وقوته ، ذلك هو الاساس المادي الرئيسي لمجيء الاشتراكية الذي لا مناص منـــه . ان المحرك الفكري والمعنوي والمنفذ العملي لهذا التحول انما هو البروليتاريا التي تربّيهـــا الرأسمالية نفسها . ان نضال البروليتاريـــا ضد البرجوازية ، الذي يتخذ اشكالاً مختلفة تغتني بالمحتوى باستمرار ، يصبح ،

حتماً ، نضالاً سياسياً يرمي الى ظفر البروليتاريا بالسلطة السياسية («ديكتاتوزية البروليتاريا») . ولا بد لعملية جعل الانتاج اجتماعياً من ان تجعل وسائل الانتاج ملكاً للمجتمع ، وتؤدي الى «انتزاع الملكية من مغتصبيها» . ان التزايد الضخم في انتاجية العمل ، وانقاص يوم العمل ، واحلال العمل الجماعي المتقن محل بقايا وانقاض الانتاج الصغير البدائي المبعثر ، تلك هي النتائج المباشرة لهذا التحول . ان الرأسمالية تقطع نهائياً الروابط بين الزراعة والصناعة ولكنها ، في الوقت نفسه ، تهيئ ، بتطورها الاعلى ، العناصر الجديدة لهذا الترابط ، وتهيئ الجمع بين الصناعة والزراعة على اساس تطبيق العلم تطبيقاً واعياً ، وعلى اساس تنسيق العمل الجماعي ، وتوزيع جديد للسكان (واضعة حداً لعزلة الريف عن العالم ، وما يعانيه من اهمال وتوحش ، وكذلك لتكدس عدد ضخم من السكان في المدن الكبيرة على نحو غير طبيعي) . ان الأشكال العليا للرأسمالية الحديثة تهيئ شكلاً جديداً للعائلة ، وظروفاً جديدة في وضع المرأة وفي تربية الاجيال الناشئة : فان استغلال عمل النساء والاولاد ، وافساد العائلة البطريركية من قبل الرأسمالية يأخذان ، حتماً ، في المجتمع الحديث اكثر الاشكال فظاعة وأشدها تدميراً وتنفيراً .

ومع ذلك «فالصناعة الكبيرة ، باعطائها النساء والاحداث والاولاد من الجنسين دوراً حاسماً في عمليةالانتاج المنظمة اجتماعياً ، خارج النطاق العائلي ، تخلق اساساً اقتصادياً لشكل اعلى من اشكال العائلة والعلاقات بين الجنسين . ومن الخرق ، طبعاً ، ان يعتبر بمثابة شيء مطلق سواء الشكل الجرماني المسيحي للعائلة ام اشكالها القديمة الرومانية واليونانية والشرقية التي تؤلف في ترابطها بعضها ببعض ، فيما تؤلف ، سلسلة تاريخية واحدة من التطور . ومن البدهي ايضاً ان تركيب الهيئة العمالية المختلطة من افراد الجنسين على اختلاف اعمارهم ، مع كونه في شكله الراسمالي العفوي الفظ ، حيث العامل موجود من اجل عملية الانتاج وليس عملية الانتاج موجودة من اجل العامل ، يؤلف ينبوعاً موبوءاً للافساد والاستعباد ، — ان هذا التركيب لا بد ان يتحول ، بالعكس ، في ظروف مؤاتية ، الى ينبوع للتطور الانساني»

(«رأس المال» ، المجلد الاول ، نهاية الفصل الثالث عشر) ، ان النظام المصنعي يقدم لنا «اجنة التربيــة في المستقبـل ، حيث سيتم ، بالنسبة لجميع الاولاد فوق سن معينة ، الجمع بين العمل المنتج والتعليم والرياضة ، وذلك ليس باعتباره طريقة تهدف الى زيادة الانتاج الاجتماعي ، بل باعتباره الطريقة الوحيدة لانتاج اناس متطورين من كل النواحي» (المصدر نفسه) . ثم ان اشتراكيــة ماركس تضع قضيتي القومية والدولـــة على الاساس التاريخي نفسه ، لا لتفسير الماضي وحسب ، بل ايضاً للتنبؤ دون خوف بالمستقبـل ، وللنشاط العملي الجريء الرامـي الى تحقيـق هذه الاشتراكية . ان الامم هي النتاج والشكل الحتميان للمرحلـــة البرجوازية من التطور الاجتماعي . ان الطبقة العاملة لم تستطع ان تقوي نفسهـــا وتنضج وتتكون الا «بتكوين نفسهـا ضمن حدود الامة» ، دون ان تكون «قومية» («وان لم يكن ذلك اطلاقاً بالمعنى البرجوازي لهذه الكلمة») . والحال ، ان تطور الرأسمالية لا ينفك يحطم الحدود الوطنية ويهدم العزلة الوطنية ويحل التناحرات بين الطبقات محل التناحرات بين الامم . ولهذا يكون من الصحيح تماماً في البلدان الرأسمالية المتطورة «ان ليس للعمال وطن» ، وان «توحيد جهود» العمال ، في البلدان المتمدنة على الأقل ، «هو احد الشروط الاولية لتحرر البروليتاريا» («البيان الشيوعي») . امـا الدولة ، هذا العنف المنظم ، فقد ظهرت ظهوراً حتمياً عند درجة معينة من تطور المجتمع ، حينما اصبح المجتمع منقسماً الى طبقات لا يمكن التوفيق بينهـا ، ولم يعد في طوقـــه ان يعيش بدون «سلطة» موضوعة ، كما يزعم ، فوق المجتمع ومفصولة عنه الى حد ما . وهذه الدولة ، التي وُلدت في قلب التناقضات الطبقية ، تصبح «دولة الطبقة الاقوى ، الطبقة المسيطرة اقتصادياً ، والتي تغدو ايضاً ، بفضل مساعدة الدولة لهـا ، الطبقـــة المسيطرة سياسياً ، وهكذا تكتسب وسائل جديدة لاخضاع الطبقة المظلومة واستثمارها . وعلى هذا النحو كانت الدولة القديمة ، قبل كـــل شيء ، دولة ملاكي العبيد لاخضاع العبيد ، كما ان الدولة الاقطاعية كانت جهاز النبلاء لاخضاع الفلاحين الاقنان ، وكما ان الدولـــة التمثيليـــة الحديثـــة هي اداة استثمـــار الرأسماليين للعمال

المأجورين» (انجلس ، «اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة» حيث عرض وجهات نظره ووجهات نظر ماركس) . وحتى الشكل الاوفر حرية والاكثر تقدماً للدولة البرجوازية ، ونعني به الجمهورية الديموقراطية ، لا يلغي ابداً هذا الواقع ، بل يعدل شكله فقط (ارتباط الحكومة بالبورصة ، رشوة الموظفين والصحافة على نحو مباشر وغير مباشر ، الخ .) . ان الاشتراكية ، اذ تقود الى تصفية الطبقات ، تقود ، بالتالي ، الى تصفية الدولة . «ان أول عمل تقوم به الدولة باعتبارها ممثلاً فعلياً للمجتمع بأسره — اي الاستيلاء على وسائل الانتاج في صالح المجتمع بأسره — هو في الوقت نفسه آخر عمل مستقل تقوم به بوصفها دولة . ان تدخل سلطة الدولة في العلاقات الاجتماعية يصبح نافلاً في ميدان بعد آخر ثم يتلاشى من تلقاء نفسه . ومحل حكم الاشخاص تحل ادارة الاشياء وقيادة عملية الانتاج . ان الدولة لا «تلغى» ، انها تضمحل» (انجلس ، «ضد دوهرينغ») . ان المجتمع الذي سينظم الانتاج على اساس المشاركة الحرة المتساوية بين المنتجين ، سيعيد كل آلة الدولة الى المكان اللائق بها : الى متحف الآثار ، الى جانب المغزل اليدوي والفاس البرونزية» (انجلس ، «اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة») .

واخيراً ، لا بد من ان نشير ، فيما يخص موقف اشتراكية ماركس من الفلاح الصغير الذي سيبقى موجوداً ايضاً في مرحلة انتزاع الملكية من مغتصبيها ، الى هذا البيان من انجلس الذي يعبر عن رأي ماركس : «عندما نستولي على سلطة الدولة ، لن يكون في نيتنا انتزاع ملكية الفلاحين الصغار بالعنف (بتعويض او بغير تعويض ، سيان) الامر الذي سنكون مضطرين للقيام به بحق كبار الملاكين العقاريين . ان مهمتنا تجاه الفلاح الصغير ستكون ، قبل كل شيء ، توجيه انتاجه الخاص وملكيته الخاصة في السبيل التعاوني ، ولكن لا بواسطة العنف ، بل عن طريق المثل وتقديم مساعدة المجتمع لهذا الغرض . ومن المؤكد ان سيكون لدينا ما يكفي من الوسائل لاقناع الفلاح بجميع المزايا التي يتسم بها هذا التحول ، والتي لا بد من توضيحها له منذ الآن» (انجلس ، «بصدد المسألة الزراعية في الغرب» . طبع اليكسييفا .

صفحة ١٧ . الترجمة الروسية باغلاط . النص الاصلي في جريدة « Neue Zeit » (٣٦) .

تكتيك نضال البروليتاريا الطبقي

لما كان ماركس قد بين ، منذ ١٨٤٤-١٨٤٥ ، احد العيوب الاساسية في المادية القديمة ، وهو ان المادية القديمة لم تكن قادرة على تفهم شروط النشاط الثوري العملي ولا ان تقدر اهميته ، فانه ، الى جانب اعماله النظرية ، قد اعار ، طوال حياته ، انتباهاً دائباً لمسائل تكتيك نضال البروليتاريا الطبقي . وبهذا الصدد تعطينا مادة وفيرة للغاية **جميع** مؤلفات ماركس ، بما فيها مراسلاته مع انجلس ، المنشورة عام ١٩١٣ في اربعة مجلدات . ان هذه المادة ما تزال بعيدة عن ان تكون كلها مجموعة ، ومصنفة ، ومدروسة ، ومعمقة . ولهذا يترتب علينا ان نكتفي هنا بأعم الملاحظات واوجزها ، مع الاشارة الى ان ماركس كان يعتبر بحق ان المادية ، اذا جردت من جانبها **هذا** ، كانت غير كاملة ، ووحيدة الجانب ، وعديمة الحيوية . لقد كان ماركس يحدد المهمة الاساسية لتكتيك البروليتاريا ، بالتوافق الدقيق مع جميع مقدمات مفهومه المادي-الديالكتيكي . ان حسبان الحساب بشكل موضوعي لمجموع العلاقات بين جميع الطبقات في مجتمع معين ، دون استثناء ، وبالتالي ، حسبان الحساب للدرجة الموضوعية لتطور هذا المجتمع وللعلاقات بينه وبين سائر المجتمعات ، يمكن له وحده ان يكون سنداً لتكتيك صحيح للطبقة المتقدمة ؛ علماً بانه يُنظر الى جميع الطبقات وجميع البلدان ، ليس في حالتها الساكنة ، بل في تحركها أي لا في حالة الجمود ، بل في حالة الحركة (الحركة التي تنبثق قوانينها من الظروف الاقتصادية لمعيشة كل طبقة) . والحركة بدورها يُنظر اليها لا من وجهة نظر الماضي وحسب ، بل من وجهة نظر المستقبل ايضاً ، وفضلاً عن ذلك ، يُنظر اليها لا وفقاً للمفهوم المبتذل «للتطوريين» الذين لا يلاحظون سوى التحولات البطيئة ، بل وفقاً للديالكتيك . فقد كتب ماركس

الى انجلس يقول : «في التطورات التاريخية الكبرى ، توازي عشرون سنة يوماً واحداً ، مع انه قد تأتي ، فيما بعد ، ايام تضم في احشائها عشرين سنة» (««المراسلات» ، المجلد الثالث ، صفحة ١٢٧) (٣٧) . وفي كل درجة من التطور ، وفي كل لحظة ، يجب على تكتيك البروليتاريا ان يأخذ بعين الاعتبار هذا الديالكتيك ، الحتمي موضوعياً ، لتاريخ الانسانية ، وذلك ، من جهة ، باستخدام مراحل الركود السياسي ، اي مراحل التطور الذي يتقدم بخطى السلحفاة او ما يسمى بالتطور «السلمي» ، من اجل تطوير الوعي والقوى والقدرة النضالية لدى الطبقة المتقدمة ، ومن جهة اخرى ، بالقيام بكل هذا العمل باتجاه «الهدف النهائي» لحركة هذه الطبقة ، وبجعلها قادرة على ان تحل عملياً المهمات الكبرى في الايام العظيمة «التي تضم في احشائها عشرين سنة» . ثمة موضوعتان لماركس بهذا الصدد ، تتميزان بأهمية خاصة . الاولى في كتابه «بؤس الفلسفة» ، وتتعلق بنضال البروليتاريا الاقتصادي وبمنظماتها الاقتصادية . والاخرى ، في «البيان الشيوعي» ، وتتعلق بمهمات البروليتاريا السياسية . اما الاولى فقد وردت كما يلي : «ان الصناعة الكبرى تجمع في مكان واحد جمهوراً من اناس لا يعرف بعضهم بعضاً . والمزاحمة تفرق مصالحهم . ولكن الحرص على الاجرة ، هذه المصلحة المشتركة بينهم تجاه سيدهم ، تجمعهم على اساس فكرة واحدة ، فكرة المقاومة والتحالف ... ان التحالفات تبدأ منعزلة ثم تتألف في جماعات ، وبوجه الراسمال المتجمع على الدوام ، يغدو حفاظ العمال على اتحاداتهم اهم بنظرهم من الحرص على الاجرة ... وفي هذا النضال – هذه الحرب الاهلية الحقيقية – تتجمع وتتطور جميع العناصر الضرورية لمعركة مقبلة . وعند بلوغ هذه النقطة ، يأخذ التحالف طابعاً سياسياً» . ان لدينا هنا برنامج وتكتيك النضال الاقتصادي والحركة النقابية لبضع عشرات السنين ، لكل المرحلة الطويلة من تحضير قوى البروليتاريا «لمعركة مقبلة» . وتجدر المقارنة بين ذلك وبين اشارات ماركس وانجلس العديدة ، المبنية على تجربة الحركة العمالية الانجليزية ، والتي تبين كيف ان «الازدهار» الصناعي يستثير محاولات «لشراء العمال» (««المراسلات» ، المجلد الاول ، صفحة ١٣٦) (٣٨) ،

وصرفهم عن النضال ، وكيف ان هذا الازدهار «يفسد معنويات العمال» بوجه عام (المجلد الثاني ، صفحة ٢١٨) (٣٩) ؛ وكيف ان البروليتاريا الانجليزيـــة «تتبرجز» وكيف ان «الامة الاكثر برجوازية بين الامم» (الامة الانجليزية) «تبدو كأنها تريد ان يكون لديها في آخر المطاف ، الى جانب البرجوازية ، اريستوقراطيـــة برجوازية وبروليتاريا برجوازية» (المجلد الثاني ، صفحة ٢٩٠) (٤٠) ؛ وكيف ان «الطاقة الثوريـــة» (٤١) تتلاشى وتزول لدى البروليتاريا الانجليزية (المجلد الثالث ، صفحة ١٢٤) ؛ وكيف ينبغي الانتظار زمناً قد يطول الى هذا الحد او ذاك «لكي يتخلص العمال الانجليز مما يبدو عليهم من الفساد البرجوازي» (المجلد الثالث ، صفحة ١٢٧) (٤٢) ؛ وكيف ان الحركة العمالية الانجليزية تنقصهـــا «حميّـــة الشارتيين» (١٨٦٦ ، المجلـــد الثالث ، صفحة ٣٠٥) (٤٣) ؛ وكيف ان الزعماء العماليين الانجليز يشكلون نموذجاً وسطياً «بين البرجوازيين الراديكاليين والعمال» (تلميح الى هوليوك ، المجلد الرابع ، صفحة ٢٠٩) (٤٤) ؛ وكيف «ان العامل الانجليزي لن يتحرك» بسبب احتكار انجلترا وما دام هذا الاحتكار قائماً (المجلد الرابع ، صفحة ٤٣٣) (٤٥) . ان تكتيك النضال الاقتصادي بالارتباط مـــع السير العام **(ومع المآل)** للحركـــة العمالية ، مدروس هنا من وجهة نظر واسعة ، شاملة ، ديالكتيكية على نحو رائع ، وثورية حقاً .

اما «البيان الشيوعي» ، فقد صاغ لتكتيك النضال السياسي المبدأ الاساسي التالي للماركسية : «ان الشيوعيين يكافحون في سبيل مصالح الطبقة العاملة واهدافها المباشرة ، ولكنهم يدافعون في الوقت نفسه عن مستقبل الحركة» .. ومن اجـــل هذا ، ساند ماركس ، في ١٨٤٨ ، حزب «الثورة الزراعية» في بولونيا ، «اي الحزب الذي أثار انتفاضة كراكوفيا في ١٨٤٦» (٤٦) . وفي ١٨٤٨–١٨٤٩ ، ساند ماركس في المانيا ، الديموقراطية الثورية المتطرفة ، ولم يتراجع قط عما قاله حينذاك عن التكتيك . وكان يعتبـــر البرجوازية الالمانية عنصراً «كان يجنح منذ البداية الى خيانـــة الشعب» (فقط التحالف مع جماهير الفلاحين كان بوسعه ان يتيح للبرجوازية بلوغ اغراضها كاملة) «والى اجراء مساومة مع الممثلين

المتوجين للمجتمع القديم» . وفيما يلي التحليل النهائي الذي اعطاه ماركس عن وضع البرجوازية الالمانية الطبقي في مرحلة الثورة البرجوازية الديموقراطية ، مع العلم ان هذا التحليل هو نموذج للمادية التي تنظر الى المجتمع من حيث حركته ، وليس فقط من جانب الحركة المتجه **نحو الماضي** : «... عادمة الايمان بنفسها (اي البرجوازية الالمانية – **المعرب**) ، عادمة الايمان بالشعب ؛ متذمرة من الكبار مرتجفة امام الصغار ؛ ... خائفة من الاعصار العالمي ؛ فاقدة العزيمة في اي مكان ، منتحلة في كل مكان ؛ ... دون مبادرة ؛ ... كعجوز تنيخ عليه اللعنة ، محكوم عليه بان يقود ، انطلاقاً من مصالحه هو العجوز ، الاندفاعات الفتية الاولى لشعب فتي قوي ...» («الجريدة الرينانية الجديدة» ، ١٨٤٨ ؛ راجعوا «التركة الادبية» ، المجلد الثالث ، صفحة ٢١٢) (٤٧) . وبعد زهاء عشرين سنة ، كتب ماركس ، في رسالة الى انجلس (المجلد الثالث ، صفحة ٢٢٤) ، ان فشل ثورة ١٨٤٨ سببه ان البرجوازية كانت قد فضلت المسالمة مع العبودية على مجرد امكانية الكفاح في سبيل الحرية . وعندما اختتمت مرحلة ثورات ١٨٤٨–١٨٤٩ ، هب ماركس ضد كل محاولة للعب بالثورة (النضال ضد شابر وويليخ) ملحاً على معرفة العمل في المرحلة الجديدة التي تهيئ ثورات جديدة ، تحت ستار «سلم» ظاهري . ان تعليق ماركس التالي على الوضع في المانيا في ١٨٥٦ ، في مرحلة الرجعية الاشد اسوداداً يبين بأية روح كان ماركس يرغب في ان يتم هذا العمل : «سيتوقف كل شيء في المانيا على امكانية دعم الثورة البروليتارية بطبعة ما جديدة لحرب الفلاحين» («المراسلات» ، المجلد الثاني ، صفحة ١٠٨) (٤٨) . وطالما لم تنته الثورة الديموقراطية (البرجوازية) في المانيا ، وجّه ماركس كل انتباهه ، فيما يتعلق بتكتيك البروليتاريا الاشتراكية ، الى تطوير طاقة الفلاحين الديموقراطية . وكان يعتبر ان موقف لاسّال هو «موضوعياً خيانة للحركة العمالية في صالح بروسيا» (المجلد الثالث ، صفحة ٢١٠) (٤٩) ، وذلك بالضبط لأن لاسّال كان يتسامح مع الملاكين العقاريين ونزعة التعصب القومي البروسي . وقد كتب انجلس في ١٨٦٥ ، اثناء

تبادل وجهات النظر مــع ماركس بصدد مشروع بيان مشترك في الصحف ، يقول : «في بلد زراعي ، من السفالة ان يصار ، باسم العمال الصناعيين ، الى مهاجمة البرجوازية فقط ، مع التغاضي عن «استثمار» العمال الزراعيين ، على الطريقة البطريركية «تحت ضربات العصي» ، من جانب النبلاء الاقطاعيين» (المجلد الثالث ، صفحة ٢١٧) (٥٠) . وفي الحقبة الممتدة من ١٨٦٤ الى ١٨٧٠ ، حينما كانت المرحلة الختامية من الثورة البرجوازية الديموقراطية في المانيـا تشرف على نهايتها ، هذه المرحلة التي كانت تتنازع فيها طبقات المستثمرين في بروسيا والنمسا على طرق انجاز هذه الثورة من فوق ، لم يكتف ماركس بشجب لاسال لمداعباته مع بيسمارك ، انما كان يصلح ايضاً ليبكنخت الذي وقع في «حب النمسا» واخذ يدافع عن الخصائص المحلية . وكان ماركس يلح على انتهاج تكتيك ثوري يكافح بلا هوادة سواء بيسمارك ام محبي النمسا ، تكتيك لا يتكيف «للمنتصر» — اليونكـــر (٥١) البروسي ، — بل يُجدد النضال الثوري ضده فوراً ، وبالضبط على الصعيد الذي اوجدته انتصارات بروسيا العسكرية («المراسلات» ، المجلد الثالث ، ص ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٧٩ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٤١٨ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠—٤٤١) (٥٢) . وفي نداء الاممية الشهير ، الصادر في ٩ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٠ ، حذر ماركس البروليتاريا الفرنسية من انتفاضة قبل الأوان ، ولكن عندما قامت هذه الانتفاضة مع ذلك (١٨٧١) ، حيّا ماركس بحماسة المبادرة الثورية لدى الجماهير «التي تهاجم السماء» (رسالة ماركس الى كوغلمان) (٥٣) . ان هزيمة التحرك الثوري في هذا الوضع ، كما في العديد من الاوضاع الاخرى ، قد كانت من وجهة نظر مادية ماركس الديالكتيكيـة ، شراً اهون ، بالنسبة الى مجمــل سير النضال البروليتاري ومآله ، من شر اخلاء الموقع المحتــل والاستسلام دون قتال : ان مثــل هذا الاستسلام كان من شأنه ان يثبط من معنويات البروليتاريا وان يقوض كفاحيتها . ان ماركس ، مع تقديره التام لاستخدام وسائل النضال الشرعية في مراحل الركود السياسي وسيطرة الشرعيـة البرجوازية ، شجب بشدة بالغة في ١٨٧٧—١٨٧٨ ، بعد سن القانون

الاستثنائي ضد الاشتراكيين (٥٤) «الجملة الثورية» لدى موست ، ولكنه حمل بنفس الشدة ، ان لم يكن اكثر ، على الانتهازية التي كانت قد استولت موقتاً حينذاك على الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الرسمي ، الذي لم يبد فوراً الثبات والصلابة والروح الثورية والاستعداد للانتقال الى النضال السري رداً على القانون الاستثنائي . («المراسلات» ، المجلد الرابع ، ص ٣٩٧ ، ٤٠٤ ، ٤١٨ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤ . (٥٥) راجعوا ايضاً رسائل ماركس الى زورغه) .

كتب بين تموز (يوليو)
وتشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤
صدر عام ١٩١٥ مع اختصارات
في معجم غرانات الموسوعي ،
الطبعة السابعة ، المجلد ٢٨

المجلد ٢٦ ،
ص ٤٣-٨١

فريدريك انجلس

اي مشعل للفكر قد انطفأ ،
اي قلب توقف عن الخفقان ! (٥٦)

في ٥ آب (اغسطس) ١٨٩٥ توفي فريدريك انجلس في لندن . لقد كان انجلس ، بعد صديقه كارل ماركس (المتوفي في ١٨٨٣) ابرز عالم ومربٍّ للبروليتاريا المعاصرة في العالم المتمدن بأسره . ومنذ ان جمع المصير كارل ماركس وفريدريك انجلس ، اصبح عمل حياة الصديقين عملاً مشتركاً . ولذا ، لاجل ادراك ما صنعه فريدريك انجلس في سبيل البروليتاريا ، ينبغي ان نفهم بوضوح الدور الذي اضطلع به مذهب ماركس ونشاطه في تطوير الحركة العمالية المعاصرة . لقد كان ماركس وانجلس اولي من بيّنا ان الطبقة العاملة تولد بالضرورة ، مع مطالبها ، من النظام الاقتصادي الحالي الذي ، مع البرجوازية ، يخلق وينظم البروليتاريا بصورة حتمية . وبيّنا ايضاً ان ليست المحاولات الطيبة التي يقوم بها هؤلاء او اولئك الاشخاص الكرماء هي التي ستحرر الجنس البشري من البلايا التي تضغط عليه في الوقت الحاضر ، بل النضال الطبقي الذي تخوضه البروليتاريا المنظمة . وقد كان ماركس وانجلس اولي من برهنا ، في مؤلفاتهما العلمية ، على ان الاشتراكية ليست ضرباً من تخيلات الحالمين ، بل هي الهدف النهائي والنتيجة الضرورية لتطور القوى المنتجة في المجتمع المعاصر . ان كل التاريخ المكتوب حتى ايامنا هذه قد كان تاريخ نضال الطبقات ، وتعاقب سيطرة وانتصارات طبقات اجتماعية على طبقات اخرى . وهذه الحالة ستدوم ما دامت اسس نضال الطبقات والسيطرة الطبقية قائمة — اي ما دامت الملكية الخاصة والانتاج الاجتماعي الفوضوي . ان مصالح البروليتاريا تتطلب تدمير هذه الاسس ، فينبغي ، اذن ، ان يُوجه ضدها نضال العمال المنظمين ، الواعي الطبقي . والحال ، ان كل نضال طبقي هو نضال سياسي .

ان كل البروليتاريا المناضلة في سبيل انعتاقها قد استوعبت ، الآن ، آراء ماركس وانجلس هذه . ولكن عندما ساهم الصديقان ، في الاربعينيات ، بالمنشورات الاشتراكية والحركات الاجتماعية في عصرهما ، بدت هذه المفاهيم جديدة تماماً . فعديدين حينذاك كان الناس الموهوبون او غير الموهوبين ، الشرفاء او غير الشرفاء ، الذين كانوا لا يرون تضاد مصالـــح البرجوازية والبروليتاريا ، نظراً لانسياقهم في غمرة النضال في سبيل الحرية السياسية وضد استبداد الملوك والبوليس ورجال الدين . بل ان هؤلاء الناس كانوا لا يقرون بالفكرة القائلة ان في وســـع العمال ان يعملوا كقوة اجتماعية مستقلة . ومن جهة اخرى ، كان عدد كبير من الحالمين ، ومن الحالمين ذوي العبقرية احياناً ، يعتقدون بانــه يكفي اقناع الحكام والطبقات السائدة بجور النظام الاجتماعي القائم ، من اجل اقامـــة السلام والرفاه الشاملين على الأرض . وكانوا يحلمون باشتراكية لا صراع من أجلها . وأخيراً ، كان جميع اشتراكيي ذلك الحين تقريباً ، واصدقاء الطبقة العاملة بوجـه عام ، لا يرون في البروليتاريا سوى قرحة ، وكانوا يرون ، في رعب ، ان هذه القرحة تكبر بقدر ما كانت الصناعـــة تتطور . ولذا كانوا يسعون وراء جميع الوسائل لأجل وقف تطور الصناعة والبروليتاريا ، لأجل وقف «دولاب التاريخ» . وعلى نقيض الخوف العام الذي كان يستثيره تطور البروليتاريا ، كان ماركس وانجلس يضعان كل املهما في نموها المتواصل . فكلما ازداد عدد البروليتاريين ، تعاظمت قوتهم بوصفهم طبقة ثورية ، واقتربت الاشتراكية واصبحت ممكنة . على هذا النحو يمكن التعبير ، ببضع كلمات ، عن مآثر ماركس وانجلس ازاء الطبقة العاملة : لقد علماهـــا ان تعرف نفسها ، ان تدرك نفسها ، واحلا العلم محل الاحلام .

لهذا ينبغي ان يعرف كـل عامـل من العمال اسم انجلس وحياته . ولهذا يترتب علينا ، في كتابنا هذا ، — الذي يهدف ، كما تهدف جميع منشوراتنا ، الى ايقاظ الوعي الطبقي لدى العمال الروس ، — ان نرسم قصة حياة ونشاط فريدريك انجلس ، أحد مربي البروليتاريا المعاصرة العظيمين .

ولد انجلس عام ١٨٢٠ في بارمن ، وهي مدينة من إقليـــم

ريناني تابع لمملكة بروسيا . وكان والده صاحب مصنع . وفي عام ١٨٣٨ ، اضطر انجلس ، لاسباب عائليـة ، وقبل ان ينهي دراسته الثانوية ، لأن يعمل مستخدماً في مؤسسة تجارية في مدينة بريمن . ولكن الأعمال التجارية لم تمنع انجلس قط من العمل على تثقيف نفسه علمياً وسياسياً . فمنذ ما كان في المدرسة ، حقد على الاوتوقراطية ، وعلى تعسف الدواوينية (البيروقراطية) . وقد دفعته دراساته الفلسفية الى أبعد من ذلك . فقد كان مذهـب هيغل ، في ذلك الحين ، مسيطراً في الفلسفة الالمانية ؛ واصبح انجلس من اتباعه . ومع ان هيغل نفسه كان معجباً بالدولـة البروسية الاوتوقراطية التي كان يخدمها بوصفه استاذاً في جامعة برلين ، فقد كان مذهبه مع ذلك ثورياً . ان ايمان هيغل بالعقل البشري وحقوقه ، ومبدأ الفلسفة الهيغلية الاساسي الذي يعتبر العالم في حركة تفاعل دائمة من التحول والتطور ، قد قادا تلامذة الفيلسوف البرليني الذيـن كانوا لا يريدون ان يقرروا قبول الواقع ، الى التفكير بأن النضال نفسه ضد هذا الواقع ، وضد الظلم القائم والشر السائد ، هو من صلب القانون العالمي للتطور الدائم . فاذا كان كل شيء يتطور ، واذا كانت مؤسسات تقوم مقام اخرى ، فلماذا تدوم الى الابد اوتوقراطية ملك بروسيا او قيصر روسيا ، ولماذا يدوم اثراء اقلية ضئيلـة جداً على حساب الاكثرية الساحقة ، ولماذا تدوم سيطرة البرجوازية على الشعب ؟ كانت فلسفة هيغل تعالج تطور العقل والافكار : لقد كانت مثالية تجعل تطور الطبيعة والانسان وعلاقات الناس الاجتماعية ناجماً عن تطور العقل . وقد احتفظ ماركس وانجلس بفكرة هيغل حول حركة التطور الدائم * ، ولكنهما طرحا وجهة النظر المثالية المفروضـة سلفاً . فبالاستناد الى الحياة ، لاحظا ان ليس تطور العقل هو الذي يفسر تطور الطبيعة ، بل ان الامر على العكس تماماً ، فيجب ان نعيد منشأ العقل الى الطبيعة ، الى المادة . . . وخلافاً لهيغل ،

---

* لاحظ ماركس وانجلس اكثر من مرة انهما مدينان ، الى حد كبير بتطورهما الفكري ، لكبار الفلاسفة الألمان ، ولا سيما لهيغل . وقد قال انجلس : « ولولا الفلسفة الالمانية ، لما كانت هناك اشتراكيـة علميـة» . (٥٧)

والهيغليين الآخرين ، كان ماركس وانجلس ماديين . وفي اتخاذهما عن العالم والانسانية مفهوماً مادياً ، لاحظا انه كما ان الاسباب المادية هي في اساس جميع ظاهرات الطبيعة ، كذلك تطور المجتمع البشري مشروط بتطور القوى المادية ، المنتجة ، وان علاقات الناس فيما بينهم ، خلال انتاج الاشياء الضرورية لسد حاجات الانسان ، ترتبط بتطور القوى المنتجة . وفي هذه العلاقات ، نجد التفسير لجميع ظاهرات الحياة الاجتماعية ، والمطامح ، والافكار ، والقوانين البشرية . ان تطور القوى المنتجة يخلق علاقات اجتماعية ترتكز على الملكية الخاصة ؛ ولكننا نرى اليوم كيف ان تطور القوى المنتجة نفسه ينتزع الملكية من الاكثرية ليحصرها في ايدي اقلية ضئيلة . انه يلغي الملكية ، اساس النظام الاجتماعي المعاصر ، ويسير من نفسه نحو الهدف الذي وضعه الاشتراكيون نصب عيونهم . امـا الامر الهام ، فهو ان يدرك هؤلاء الاشتراكيون اية قوة اجتماعية ، لها ، بحكم وضعها في المجتمع المعاصر ، مصلحة في تحقيق الاشتراكية ، حتى يبثوا في هذه القوة وعي مصالحها ورسالتها التاريخية . هذه القوة انما هي البروليتاريا . لقد تعرف انجلس على البروليتاريا ، في انجلترا ، في مركز الصناعة الإنجليزية ، في منشستر ، حيث اقام سنة ١٨٤٢ ، مستخدماً في مؤسسة تجارية كان أبوه مسهماً فيها . فان انجلس لم يكتف بعمل بسيط في مكتب المصنع ، بل زار الاحياء القذرة حيث كان يقطن العمال ، وحيث استطاع ان يرى ، بأم عينه ، كل بؤسهم ، وبلاياهم . ولم يكتف بملاحظاته الشخصية ، بل قرأ ايضاً كل ما سجله الغير من قبله عن حالة الطبقة العاملة الانجليزية ، ودرس درساً دقيقاً جميع الوثائق الرسمية التي تمكن من الرجوع اليها . ان كتابه «حالة الطبقة العاملة في انجلترا» ، الذي صدر في سنة ١٨٤٥ ، كان ثمرة تلك الدراسات وتلك الملاحظات . ولقد ذكرنا آنفاً المأثرة الرئيسية التي حققها انجلس في مؤلفه «حالة الطبقة العاملة في انجلترا» . كثيراً كان عدد الذين تحدثوا ، حتى قبل انجلس ، عن آلام البروليتاريا وأكدوا ضرورة مساعدتها . اما انجلس ، فكان **اول** من اثبت ان البروليتاريا **ليست فقط** الطبقة التي تتألم ، بل ان الحالة الاقتصادية المخزية

التي تعانيها البروليتاريا هي التي تدفع بها الى امام دفعاً لا يُرد ، وتحفزها الى النضال في سبيل تحررهـــا النهائي . والحال ، ان البروليتاريا المناضلـــة **ستتساعد نفسها بنفسها** . ان الحركـة السياسية للطبقة العاملة ستقود حتمـا العمال الى ان يدركوا ان ليس ابداً من مخرج امامهم غير طريق الاشتراكية . والاشتراكية ، من جهة أخرى ، لن تصبح قوة ، الا عندما تصبح الهدف لنضال **الطبقة** العاملة **السياسي** . هذه هي الافكار الاساسيـة في كتاب انجلس عن حالة الطبقة العاملة في انجلترا ، وهي افكار مقبولـة اليوم لدى مجموع البروليتاريا التي تفكر وتناضل ، ولكنها كانت جديدة كل الجدة في ذلك الحين . ان هذه الأفكار قد عرضت في هذا الكتاب المصوغ باسلوب أخاذ والحافل بأصدق المشاهد ، وأشدها اثارة للرعب ، عن بؤس البروليتاريا الانجليزية . لقد كان هذا الكتاب صك اتهام رهيب ضد الراسمالية والبرجوازيـة . وكان الأثر الذي احدثه عظيماً . ففي كل مكان كانوا يستشهدون بكتاب انجلس بوصفه خير صورة عن حالـــة البروليتاريا المعاصرة . وفعلاً ، لم يظهر ، لا قبل سنة ١٨٤٥ ، ولا بعدها ، عرض حقيقي اخاذ ، الى هذا الحد ، لشقاء الطبقة العاملة .

لم يصبح انجلس اشتراكياً الا في انجلترا . ففي منشستر اقام علاقات مع اعضاء حركة العمال الانجليزية في ذلك الوقت ، واخذ يكتب في المنشورات الاشتراكية الانجليزية . وعند عودتـه الى المانيا في ١٨٤٤ واثناء مروره في باريس تعرف على ماركس . وكان يراسله منذ بعض الحين . ففي باريس ، وبتأثيـــر الاشتراكيين الفرنسيين ، والحياة الفرنسيـــة ، كان ماركس قد غدا ايضـــاً اشتراكياً . وهناك كتب الصديقان معاً «العائلة المقدســـة ، او انتقاد الانتقاد النقاد» . وهذا الكتاب الذي كتب ماركس القســم الاكبر منه ، والذي صدر قبل سنة من صدور كتاب «حالة الطبقة العاملة في انجلترا» ، يضع الاسس لهذه الاشتراكية الماديـــة الثورية التي عرضنا آنفاً افكارها الرئيسية . و«العائلة المقدسة» هي تسمية هزلية للاخوين الفيلسوفين باور واتباعهمـا . فهؤلاء السادة كانوا يبشرون بالانتقاد الذي يضع نفسه فوق كل واقع ، فوق الاحزاب ، وفوق السياسة ، والذي ينكـر كل نشاط عملي

ويكتفي بالتأمل ، «من وجهة نظر انتقادية» ، في العالم الذي يحيط به ، وفي الحوادث التي تتطور فيه . ان هذين السيدين باور كانا ينظران الى البروليتاريا من عل معتبرينها جماعة مجردة من كل تفكير انتقادي . لقد وقف ماركس وانجلس موقفاً حازماً ضد هذا الاتجاه الضار والاخرق . وباسم الشخصية الانسانية الفعلية ، اي العامل الذي تظلمه الطبقات الحاكمة والدولة ، طالبا لا بالتأمل ، بل بالنضال في سبيل تنظيم افضل للمجتمع . وهما ، بالطبع ، لا يريان الا في البروليتاريا القوة التي لها مصلحة في خوض هذا النضال والتي هي قادرة على خوضه . وقبل نشر كتاب «العائلة المقدسة» ، نشر انجلس ، في مجلة ماركس وروغه «الحولية الفرنسية الالمانية» ، «دراسات انتقادية حول الاقتصاد السياسي» (٥٨) حلل فيها ، من وجهة نظر الاشتراكية ، الوقائع الاساسية في النظام الاقتصادي المعاصر ، الناجمة ، حتما ، عن سيطرة الملكية الخاصة . ان صلات ماركس بانجلس قد دفعت الاول ، بدون جدال ، الى الاهتمام بالاقتصاد السياسي ، هذا العلم الذي قامت مؤلفاته بثورة كاملة فيه .

ومن سنة ١٨٤٥ الى ١٨٤٧ ، عاش انجلس في بروكسل وباريس رابطاً دراساته العلمية بالنشاط العملي بين العمال الالمان في هاتين المدينتين . وفي تلك الفترة ، اقام ماركس وانجلس علاقات مع المنظمة الألمانية السرية المسماة «عصبة الشيوعيين» ، التي عهدت اليهما بعرض المبادئ الاساسية للاشتراكية التي صاغاها . وهكذا صدر في سنة ١٨٤٨ بيانهما المشهور – «بيان الحزب الشيوعي» . ان هذا الكتيب يساوي المجلدات الضخمة : فروحه ما تزال ، حتى ايامنا ، تنفذ الى مجموع البروليتاريا المنظمة ، المناضلة ، في العالم المتمدن ، وتحركها .

اما ثورة ١٨٤٨ ، التي اندلعت اولاً في فرنسا ، ثم امتدت الى البلدان الاخرى من اوروبا الغربية ، فقد جعلت ماركس وانجلس يقرران العودة الى بلادهما . وهناك ، في بروسيا الرينانية ، قاما على راس الجريدة الديموقراطية «الجريدة الرينانية الجديدة» التي كانت تصدر في مدينة كولونيا . وكان الصديقان روح جميع

المساعي الثورية الديموقراطية في بروسيا الرينانية . وقد دافعا باقصى القوة والعزم ، عن مصالح الشعب والحريـــة ضد القوى الرجعية . غير ان الغلبة كانت لهذه القوى الرجعية ، كما هـــو معلوم . فعطلت «الجريدة الرينانية الجديدة» . ولما كان ماركس قد فقد جنسيته البروسية أثناء هجرته ، فقد طرد . اما انجلس فقد اشترك في انتفاضة الشعب المسلحة . واشترك في ثلاث معارك من اجل الحرية ، وبعد هزيمة الثوار ، هرب الى لندن بطريق سويسرا .

كذلك جاء ماركس وأقام في لندن ، اما انجلس فقد عاد بعد حين مستخدماً من جديد ، ثم شريكاً في المؤسسة التجارية نفسها ، في منشستر ، حيث كان قد اشتغل في الأربعينيات . وحتى سنة ١٨٧٠ عاشا ، انجلس في منشستر ، وماركس في لندن . ولكن هذا لم يكن يمنعهما من ان تكون وحدة افكارهما وثيقـــة اشد الوثوق . فكانا يتراسلان في كل يوم تقريباً . وفي هذه المراسلات كان يطالع الصديق صديقه بآرائه ومعلوماته . وكانا يتابعان معاً صياغة الاشتراكية العلمية . وفي سنة ١٨٧٠ أقام انجلس في لندن مواصلاً مع ماركس حياتهمـــا الفكريـــة المشتركة الزاخرة بنشاط شديد ، حتى عام ١٨٨٣ ، عام وفاة ماركس . وقد كانت ثمرة هذا العمل ، بالنسبة لماركس – كتابه «رأس المال» ، اعظم مؤلف في الاقتصاد السياسي في عصرنا ؛ وكانـــت ، بالنسبـــة لانجلس ، عدداً مـــن المؤلفات الكبيرة والصغيرة . كان ماركس يعمل في تحليل الظاهرات المعقدة في الاقتصاد الرأسمالي . وكان انجلس يعرض في مؤلفاته ، باسلوب واضح ، وجدلي في كثير من الأحيان ، أعم القضايا العلمية ومختلف وقائع الماضي والحاضر ، ضمن اتجاه المفهوم المادي للتاريخ لدى ماركس ونظريتـــــه الاقتصادية . وبين مؤلفات انجلس هذه نذكر كتابه الجدلي ضد دوهرينغ (الذي حلل فيه اهم قضايا الفلسفة ، والعلوم الطبيعية والاجتماعية) * ، وكتابه «اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة»

* انه كتاب رائع ، تثقيفي وغني المحتوى (٥٩) . ومن المؤسف انه لم يترجم منه الى الروسية سوى جزء صغير يتعلق باللمحة التاريخية عن تطور الاشتراكية («تطور الاشتراكية العلمية» ، الطبعة الثانية ، جينيف ، ١٨٩٢) (٦٠) .

(الترجمة الروسية الصادرة في سانت-بترسبورغ ، الطبعة الثالثة ١٨٩٥) . و«لودفيغ فورباخ» (٦١) (الترجمة الروسية مع ملاحظات بقلم بليخانوف ، جينيف ، ١٨٩٢) ، ومقالاً حول السياسة الخارجية للحكومة الروسية (صدرت ترجمته بالروسية في جريدة «سوسيال-ديموقراط» ، العددين الأول والثاني ، في جينيف) (٦٢) ، والمقالات الرائعة حول مسألة السكن (٦٣) ، واخيراً ، مقالين موجزين عن التطور الاقتصادي في روسيا ، ولكنهما ذوا قيمة كبيرة («فريدريك انجلس يكتب عن روسيا» ، الترجمة الروسية بقلم زاسوليتش ، جينيف ، ١٨٩٤). (٦٤) . وقد توفي ماركس قبل ان يتمكن من انجاز مؤلفه العظيم عن رأس المال . اما مسودة المخطوطة فكانت جاهزة . وهكذا قام انجلس بالعبء الثقيل بعد وفاة صديقه ، فنقح وأصدر المجلدين الثاني والثالث من «رأس المال» : فقد نشر المجلد الثاني في ١٨٨٥ ، والثالث في ١٨٩٤ (ولم يتوافر له الوقت لتحضير المجلد الرابع) (٦٥) . ولقد اضطر لبذل مجهود كبير جداً لتحضير وإصدار المجلدين المذكورين. وقد لاحظ الاشتراكي-الديموقراطي النمساوي آدلر ، بحق ، ان انجلس ، باصداره المجلدين الثاني والثالث من «رأس المال» ، قد نصب لصديقه العبقري أثراً جليلاً كتب عليه ، دونما قصد ، باحرف لا تمحى ، اسمه الخاص الى جانب اسم ماركس . فان هذين المجلدين من «رأس المال» هما ، بالفعل ، عمل ماركس وانجلس المشترك . ان الاساطير القديمة تروي أمثلة مؤثرة عن الصداقة . وبوسع البروليتاريا الاوروبية ان تقول ان علمها قد خلقه عالمان ومناضلان ، تفوق علاقاتهما الشخصية ما ترويه جميع اساطير الاقدمين البالغة الاثر عن الصداقة بين الناس . ان انجلس قد وضع نفسه ، دائماً – وحقاً من حيث الاساس – بعد مرتبة ماركس . وقد كتب لأحد اصدقائه القدماء يقول : «لقد كنت دائماً ثاني عازف على الكمان بجانب ماركس» (٦٦) . لقد كان حبه لماركس ، حياً ، وتكريمه لذكراه ، ميتاً ، لا حد لهما . فهذا المناضل الصارم ، والمفكر الشديد ، كان يتمتع بروح المحبة ، على نحو عميق .

بعد حركة ١٨٤٨–١٨٤٩ ، لم يتجل نشاط ماركس وانجلس في المنفى ، في ميدان العلم فقط . فقد أسس ماركس في سنة

١٨٦٤ «جمعية الشغيلة العالمية» التي أمّن قيادتهـا مدة عشر سنوات . وكذلك ، اسهم انجلس بقسط نشيط في شؤونها . اما «الجمعية العالمية» التي كانت ، حسب فكرة ماركس ، توحّد البروليتاريين من جميع البلدان ، فقد كان نشاطها ذا اهمية كبرى في تطور الحركة العمالية . ومع ان هذه الجمعيـة قد حُلت ، في السبعينيات ، فان الدور التوحيدي الذي قام به ماركس وانجلس لم يتوقف ، بل خلافاً لذلك ، نستطيع القول بان دورهما كمرشدين فكريين للحركة العمالية ، كان يتعاظم دائماً ، لأن الحركة نفسها كانت تتطور دونما توقف . وبعد وفاة ماركس ، اصبح انجلس ، وحده ، المستشار والمرشد للاشتراكيين الاوروبيين . واليه كان يأتي ، لطلب النصائح والارشادات ، الاشتراكيون الالمان ، الذين لم تنفك قوتهم تنمو نمواً سريعـاً رغم الاضطهادات الحكومية ، وكذلك ممثلـو البلدان المتأخرة : الاسبانيون والرومانيون ، والروس ، الذين كان عليهم ان يتبصروا ويزنوا خطاهم الاولى . لقد كانوا جميعـاً ينهلون من الينبوع الدفاق ، ينبوع معارف الشيخ انجلس وتجربته .

ان ماركس وانجلس ، اللذين كانا يعرفان الروسية ، ويقرآن الأدب بهذه اللغة ، كانا يهتمان بروسيا اهتماماً شديداً ، ويتتبعان بعطف الحركة الثورية في هذه البلاد ، ويقيمان العلاقات مع الثوريين الروس . لقد كان كلاهما ديموقراطياً ، قبل ان يصبح كلاهمـا اشتراكياً . وكان شعورهما الديموقراطي ، الذي يدفعهما الى الحقد على التعسف السياسي ، قوياً الى الحد الاقصى . ان هذا الشعور السياسي الفطري ، بالاضافـة الى فهم نظري عميق للعلاقة بين التعسف السياسي والطغيان الاقتصادي ، والى تجربة غنيـة في الحياة ، كل هذا جعل ماركس وانجلس يتمتعان بحس مرهف في الميدان السياسي بالذات . ولذا ، فان النضال البطولي الذي كانت تقوم به حفنة قليلة من الثوريين الروس ضد الحكومة القيصرية الكلية الجبروت قد لاقى أشد ما يكون من العطف في قلب كل من هذين الثوريين المجربين . وعكساً لذلك ، فمحاولة الأعراض باسم منافع اقتصادية مزعومة ، عن اهم المهمات واكثرهـا الحاحـاً الموضوعة امام الثوريين الروس ، ونعني بهـا الظفر بالحريـة

السياسية ، أن هذه المحاولة كانت تبدو لهما بطبيعة الحال ، شيئاً مشتبهاً فيه ، بل كانا يعتبرانها ، بكل بساطة ، خيانة لقضية الثورة الاجتماعية الجليلة . «ان تحرير البروليتاريا يجب ان يكون من عمل البروليتاريا نفسها» (٦٧) . هذا ما علمه دائماً ماركس وانجلس . ولكن ، لكي تناضل البروليتاريا في سبيل تحررها الاقتصادي ، يجب عليها ان تظفر ببعض الحقوق السياسية ، ومن جهة اخرى ، كان ماركس وانجلس يريان بوضوح ان الثورة السياسية في روسيا ستكون لها أهمية عظيمة بالنسبة للحركة العمالية في اوروبا الغربية ايضاً . فان روسيا الاوتوقراطية كانت دائماً حصن الرجعية الاوروبية كلها . ان وضع روسيا الدولي الملائم الى اقصى حد ، والناشىء عن حرب سنة ١٨٧٠ التي بذرت الخلاف بين المانيا وفرنسا مدة طويلة ، قد زاد زيادة لا تقبل الجدل ، من اهمية روسيا الأوتوقراطية ، بوصفها قوة رجعية . فقط روسيا حرة ، لا تعود في حاجة ، لا الى اضطهاد البولونيين والفنلنديين والالمان والارمن وغيرهم من الشعوب الصغيرة ، ولا الى العمل دائماً على تحريض المانيا وفرنسا احداهما على الأخرى ، ستتيح لاوروبا المعاصرة ان تتنفس الصعداء أخيراً من أعباء الحرب ، وستضعف جميع العناصر الرجعية في اوروبا ، وتزيد قوى الطبقة العاملة الأوروبية . ولهذا السبب ، وفي سبيل نجاح الحركة العمالية في الغرب ايضاً ، كان انجلس يرغب رغبة حارة في ان تقوم الحرية السياسية في روسيا . لقد فقد الثوريون الروس في شخصه خير صديق لهم .

الذكرى الخالدة للمناضل العظيم ، ولمربي البروليتاريا الكبير فريدريك انجلس !

كتب في خريف ١٨٩٥ .
نشر لأول مرة في ١٨٩٦
في مجموعة «رابوتنيك»
(«العامل») ، العدد ١–٢

المجلد ٢ ،
ص ١–١٤

ملاحظات

١ ـ كتب لينين مقال «مصادر الماركسية الثلاثة واقسامها المكونة الثلاثة» لمناسبة الذكرى السنوية الثلاثين لوفاة ماركس . ص ـ ٣ .

٢ ـ راجعوا فريدريك انجلس «لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية» ، الفصل الاول . ـ ص ١١ .

٣ ـ في نهاية هذا المقال ، المكتوب عام ١٩١٤ لمعجم غرانات الموسوعي ، اعطى لينين عرضاً عن الادب الماركسي وعن الماركسية . لم ينشر هذا العرض في هذه الطبعة . ـ ص ١١ .

٤ ـ يشار الى مقال كارل ماركس «تبرئة مراسل الموزل» . ـ ص ١١ .

٥ ـ كارل ماركس . «مساهمة في نقد فلسفة الحق عند هيغل . المقدمة» . ص ـ ١٢ .

٦ ـ **عصبة الشيوعيين** ـ اول منظمة عالمية للبروليتاريا . دامت من اوائل حزيران (يونيو) ١٨٤٨ حتى ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٥٢ . تأسست عصبة الشيوعيين على اساس عصبة العادلين التي نظمها العمال والحرفيون في اواسط الثلاثينيات من القرن التاسع عشر والتي عملت بصورة سرية في مختلف بلدان اوروبا . في اوائل ١٨٤٧ ، اقتنع المشتركون في هذه العصبة بصحة آراء ماركس وانجلس ، وعرضوا عليهما الانتساب الى العصبة والاشتراك في اعادة تنظيمها ووضع برنامج للعصبة . فوافق ماركس وانجلس على هذا العرض .

في مستهل حزيران (يونيو) ١٨٤٧ ، انعقد في لندن مؤتمر عصبة العادلين ، ودخل في التاريخ بوصفه اول مؤتمر لعصبة الشيوعيين . بنى المؤتمر اساس نشاطه على مبادئ نظرية ماركس

وانجلس الثورية . انعقد المؤتمر الثاني لعصبة الشيوعيين في لندن من ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) الى ٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٧ وعهد الى ماركس وانجلس بوضع بيان . نشر هذا البيان في شباط (فبراير) ١٨٤٨ ، وهو واسع الشهرة تحت اسم «بيان الحزب الشيوعي» .

في ١٧ تشرين الثاني ١٨٥٢ ، اي بعد محاكمة الشيوعيين في كولونيا بفترة وجيزة ، اعلنت عصبة الشيوعيين عن حل نفسها بناء على اقتراح من ماركس .

لعبت عصبة الشيوعيين دوراً تاريخياً كبيراً بوصفها مدرسة للثوريين البروليتاريين ، بوصفها جنين الحزب البروليتاري وسلف جمعية الشغيلة العالمية (الاممية الاولى) .ـ ص ١٢ .

٧ ـ المقصود هنا الثورة البرجوازيـة في فرنسا في شباط (فبراير) ١٨٤٨ .ـ ص ١٣ .

٨ ـ المقصود هنا الثورة البرجوازية في المانيا والنمسا التي ابتدأت في آذار (مارس)١٨٤٨ .ـ ص ١٣ .

٩ ـ المقصود هنا المظاهرة الشعبية التي نظمها في باريس حزب البرجوازية الصغيرة («الجبل») ، احتجاجاً على انتهاك الرئيس واغلبية الجمعية التشريعية للاوضاع الدستورية التي ادخلتهـا ثورة ١٨٤٨ . فرقت الحكومة المظاهرة .ـ ص ١٣ .

١٠ ـ يقصد لينين طبعة مراسلات ماركس وانجلس التي صدرت في المانيا في ايلول (سبتمبر) ١٩١٣ في اربعة مجلدات .ـ ص ١٣ .

١١ ـ يقصد لينين المقال الهجائي الذي كتبه ماركس «السيد فوغت» والذي جاء جواباً على الكراسة الافترائية للعميل البونابرتي كارل فوغـت «دعواي عـلى «Allgemeine Zeitung» («الغيمايـنـه زايتونغ»)» .ـ ص١٣ .

١٢ ـ المقصود هنا «البيان التاسيسي لجمعية الشغيلة العالمية» .ـ ص ١٤ .

١٣ ـ **كومونة باريس** ـ اول حكومة ثورية للطبقة العاملة ، انشأتهـا الطبقة العاملة في باريس بنتيجة انتفاضة عام ١٨٧١ . دامت ٧٢ يوماً ، من ١٨ آذار (مارس) حتى ٢٨ ايار (مايو) ١٨٧١ فصلت الكومونـة الدين عن الدولـة والمدرسـة عن الدين ، واستعاضت عن الجيش الدائم بتسليح الشعب تسليحاً عاماً ، واقرت انتخاب القضاة والموظفين من قبل الشعب واعلنت انه يجب ان لا

تزيد رواتب الموظفين على اجور العمال ، وطبقت جملـــة من الاجراءات لتحسين الاوضاع الاقتصادية للعمال وفقراء المدن ، والخ .. في ٢١ ايار ١٨٧١ اقتحمت قوات حكومة تيير المعادية للثورة باريس ، ونكلت بقساوة بعمال باريس : فقد قتلت حوالي ٣٠ الف شخص ، واعتقلت زهاء ٥٠ الف شخص ، كذلك حكـم على الالوف بالاشغال الشاقة . ـ ص ١٤ .

١٤ ـ **الباكونينية** ـ تيار اسمي باسم ميخائيل الكسندروفيتش باكونين ، ايديولوجي الفوضويـــة . ناضل الباكونينيون باصرار وعناد ضد النظرية الماركسية وضد التكتيك الماركسي للحركة العمالية . الموضوعة الرئيسية في الباكونينية هي انكار كل دولة ، بما في ذلك دولة ديكتاتورية البروليتاريا ؛ كذلك تميزت الباكونينية بعدم فهم دور البروليتاريا العالمي التاريخي . وباعتقاد الباكونينيين انه كان ينبغي لجمعية ثورية سرية مؤلفة من شخصيات «بارزة» ان تقود فتنا شعبية تنشب في الحال .

ان تكتيكهم القائم على التآمر والفتن الفورية والارهاب كان تكتيكـــا مغامراً ومعاديا للمذهب الماركسي عن الانتفاضـــة . والباكونينية قريبة من البرودونية ، التيار البرجوازي الصغير الذي يعكس أيديولوجية المالك الصغير الذي حل به الخراب .

وبما ان باكونين وضع نصب عينيـــه الاستيلاء على المجلس العام ، فقد ناضل ضد ماركس دون ان يتردد عن اللجوء الى اي وسيلة كانت . في عام ١٨٧٢ ، طرد مؤتمر لاهاي من الامميـــة الأولى زعيمي الفوضوية باكونين وغليوم بسبب نشاطهما التخريبي ؛ ندد ماركس وانجلس بشدة بنظرية الباكونينيين وتكتيكهم . ـ ص ١٤

١٥ ـ **جمعية الشغيلة العالمية** (الاممية الاولى) ـ اول منظمة جماهيريـــة عالمية للبروليتاريا (١٨٦٤ـ١٨٧٦) . كان كارل ماركس منظم وقائد الأممية الاولى ، ومؤلف «بيانها التاسيسي» وواضع نظامها الداخلي وغير ذلك من وثائقها البرنامجية والتكتيكيـــة . قادت الأممية الاولى النضال الاقتصادي والسياسي الذي كان يخوضه عمال مختلف البلدان ووطدت تضامنهم العالمي . قامت الاممية الاولى بدور بالغ في ترويج الماركسيـــة وفي ربط الاشتراكيـــة بالحركـــة العمالية . ـ ص ١٤ .

١٦ ـ راجعوا فريدريك انجلس . «لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفـــة الكلاسيكية الالمانية» . الفصل الثاني . ـ ص ١٧ .

١٧ – فريدريك انجلس . «ضد دوهرينغ» . (الفصل الحادي عشر : مقدمة الطبعات الثلاث . ١ – ملاحظات عامة) . – ص ١٨ .

١٨ – فريدريك انجلس . «لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية» . (الفصل الرابع ، الفصل الاول) . – ص ١٩ .

١٩ – فريدريك انجلس . «ضد دوهرينغ» . (الفصل الاول . ملاحظات عامة) . – ص ١٩ .

٢٠ – فريدريك انجلس . «لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية» . (الفصل الثاني) . – ص ٢٠ .

٢١ – كارل ماركس . «رأس المال» . المجلد الاول (الفصل الثالث عشر . الآلات والصناعة الكبيرة . ١ – تطور الآلات) . – ص ٢٠ .

٢٢ – **عهد عودة الملكية** – مرحلة في تاريخ فرنسا تمتد من ١٨١٤ الى ١٨٣٠ عادت خلالها سلطة الدولة الى اسرة بوربون الملكية بعد ان اسقطتها الثورة البرجوازية الفرنسية في عام ١٧٩٢ . – ص ٢٣ .

٢٣ – كارل ماركس . «رأس المال» . المجلد الاول (الفصل الاول : البضاعة . ٤ – الصفة الصنمية للبضاعة وسرها) . – ص ٢٦

٢٤ – كارل ماركس . «مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي» . (الفصل الاول : البضاعة) . – ص ٢٦ .

٢٥ – كارل ماركس . «رأس المال» . المجلد الاول (الفصل الرابع : تحول النقد الى رأسمال . ٣ – شراء وبيع قوة العمل) . – ص ٢٦ .

٢٦ – كارل ماركس . «رأس المال» . المجلد الاول (الفصل الرابع : تحول النقد الى رأسمال . ٣ – شراء وبيع قوة العمل) . – ص ٢٧ .

٢٧ – كارل ماركس . «راس المال» . المجلد الاول (الفصل الرابع والعشرون : ما يسمى بالتراكم البدائي . ٧ – الاتجاه التاريخي للتراكم الراسمالي) . – ص ٣٠ .

٢٨ – **«نظرية حدود المنفعة»** – نظرية اقتصادية مبتذلة تمدح النظام البرجوازي . ظهرت في السبعينيات من القرن التاسع عشر كمقابل لنظرية قيمة العمل التي صاغها ماركس .

تقول نظرية حدود المنفعة ، ان المنفعة هي مصدر القيمة ، لا العمل ، علماً بان منفعة الوحدة الاخيرة ، هي العنصر الحاسم (اذا كان «الذات المالك» يملك عشر قطع من الخبز ، فان العنصر الحاسم هو منفعة القطعة العاشرة) .

ومن هنا تعبير «حدود المنفعة» ، علماً بان مستوى «حدود المنفعة» للشيء المعين يتوقف على الحاجة الى هذا الشيء ، على ندرته ، الخ .. وبما ان نظرية «حدود المنفعة» وسيلة من وسائل طمس استثمار قوة العمل الماجور في ظل الرأسمالية ، فهي واسعة الانتشار في الاقتصاد السياسي البرجوازي . ــ ص ٣١ .

٢٩ ــ كارل ماركس . «راس المال» . المجلد ٣ (الفصل السابع والاربعون : اصل الريع الراسمالي . ٤ ــ الريع النقدي) . ــ ص ٣٤ .

٣٠ ــ كارل ماركس . «راس المال» . المجلد الاول (الفصل الرابع والعشرون : ما يسمى بالتراكم البدائي . ٥ ــ تاثير الثورة الزراعية المعاكس على الصناعة) . ــ ص ٣٤ .

٣١ ــ كارل ماركس . «راس المال» . المجلد الاول (الفصل الثالث والعشرون : القانون العام للتراكم الراسمالي . ٤ ــ الاشكال المختلفة للفائض النسبي من السكان) . ــ ص ٣٤ .

٣٢ ــ كارل ماركس . «النضال الطبقي في فرنسا من ١٨٤٨ الى ١٨٥٠» . (الفصل الثالث : عواقب ١٣ حزيران ــ يونيو ــ ١٨٤٩) . ــ ص ٣٥ .

٣٣ ــ راجعوا كارل ماركس . «الثامن عشر من بروميير لويس بونابرت» (الفصل السابع) . ــ ص ٣٥ .

٣٤ ــ كارل ماركس . «النضال الطبقي في فرنسا من ١٨٤٨ الى ١٨٥٠» (الفصل الثالث : عواقب ١٣ حزيران ــ يوليو ــ ١٨٤٩) . ــ ص ٣٥ .

٣٥ ــ كارل ماركس . «راس المال» . المجلد الثالث (الفصل السابع والاربعون : اصل الريع العقاري الراسمالي . ٥ ــ المحاصة والملكية الفلاحية الصغيرة) . ــ ص٣٦ .

٣٦ ــ انجلس . «مسالة الفلاحين في فرنسا والمانيا» (الفصل الثاني) . ــ ص ٤٠ .

٣٧ ــ راجعوا رسالة ماركس الى انجلس في ٩ نيسان (ابريل) ١٨٦٣ . ــ ص ٤١ .

٣٨ ــ راجعوا رسالة انجلس الى ماركس في ٥ شباط (فبراير) ١٨٥١ . ــ ص ٤١ .

٣٩ ــ راجعوا رسالة انجلس الى ماركس في ١٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥٧ . ــ ص ٤٢ .

٤٠ ـ راجعوا رسالة انجلس الى ماركس في ٧ تشرين الاول (أكتوبر) ١٨٥٨ . ـ ص ٤٢ .

٤١ ـ راجعوا رسالة انجلس الى ماركس في ٨ نيسان (ابريل) ١٨٦٣ . ـ ص ٤٢ .

٤٢ ـ راجعوا رسالة ماركس الى انجلس في ٩ نيسان (ابريل) ١٨٦٣ . ـ ص ٤٢ .

٤٣ ـ راجعوا رسالة ماركس الى انجلس في ٢ نيسان (ابريل) ١٨٦٦ . ـ ص ٤٢ .

٤٤ ـ راجعوا رسالة انجلس الى ماركس في ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٦٩ . ـ ص ٤٢ .

٤٥ ـ راجعوا رسالة انجلس الى ماركس في ١١ آب (اغسطس) ١٨٨١ . ـ ص ٤٢ .

٤٦ ـ المقصود هنا الانتفاضة الثورية الوطنية الديموقراطية في جمهورية كراكوفيا الخاضعة منذ عام ١٨١٥ لرقابة مشتركة من قبل النمسا وبروسيا وروسيا . في سياق الانتفاضة ، انشأ الثوار حكومة وطنية اصدرت بيانا بالغاء الاتاوات الاقطاعية ووعدت بتسليم الفلاحين الاراضي على سبيل الملكية بدون تعويض . وفي نداءات اخرى ، اعلنت الحكومة عن تاسيس المشاغل الوطنية وعن زيادة الاجور فيها وعن اقرار المساواة بين المواطنين . ولكن سرعان ما تم قمع الانتفاضة . ـ ص ٤٢ .

٤٧ ـ كارل ماركس . «البرجوازية والثورة المضادة» (الفصل الثاني) . ـ ص ٤٣ .

٤٨ ـ راجعوا رسالة ماركس الى انجلس في ١٦ نيسان (ابريل) ١٨٥٦ . ـ ص ٤٣ .

٤٩ ـ راجعوا رسالة انجلس الى ماركس في ٢٧ كانون الاول (يناير) ١٨٦٥ . ـ ص ٤٣ .

٥٠ ـ راجعوا رسالة انجلس الى ماركس في ٥ شباط (فبراير) ١٨٦٥ . ـ ص ٤٤ .

٥١ ـ اليونكر ـ ملاك الاراضي في بروسيا . ـ ص ٤٤ .

٥٢ ـ راجعوا رسائل انجلس الى ماركس في ١١ حزيران (يونيو) ١٨٦٣ ، في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٦٣ ، في ٤ ايلول

(سبتمبر) ١٨٦٤ ، في ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٦٥ ، في ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٦٧ ، في ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٦٧ ، ورسائل ماركس الى انجلس في ١٢ حزيران (يونيو) ١٨٦٣ ، في ١٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٦٤ ، في ٣ شباط (فبراير) ١٨٦٥ ، في ١٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٦٧ . — ص ٤٤ .

٥٣ — راجعوا رسالة ماركس الى كوغلمان في ١٢ نيسان (ابريل) ١٨٧١ . — ص ٤٤ .

٥٤ — **القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين** سنته في المانيا حكومة بيسمارك في سنة ١٨٧٨ بقصد مكافحة الحركة العمالية والاشتراكية . بموجب هذا القانون ، منعت جميع منظمات الحزب الاشتراكي-الديموقراطي ومنظمات العمال الجماهيرية وصحافة العمال وصودرت المطبوعات الاشتراكية ، وتعرض الاشتراكيون-الديموقراطيون للملاحقات والنفي . في سنة ١٨٩٠ ، الغي القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين تحت ضغط الحركة العمالية الجماهيرية المتعاظمة باستمرار . — ص ٤٥ .

٥٥ — راجعوا رسائل ماركس الى انجلس في ٢٣ تموز (يوليو) ١٨٧٧ ، في اول آب (اغسطس) ١٨٧٧ ، في ١٠ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٩ ، ورسالتي انجلس الى ماركس في ٢٠ آب (اغسطس) ١٨٧٩ ، في ٩ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٩ . — ص ٤٥ .

٥٦ — هذان البيتان من الشعر اللذان توج بهما لينين مقالة «فريدريك انجلس» هما من قصيدة «ذكرى دوبروليوبوف» للشاعر الروسي الكبير نيكراسوف . — ص ٤٦ .

٥٧ — انجلس . مقدمة لكتاب «حرب الفلاحين في المانيا» . — ص ٤٨ .

٥٨ — المقصود هنا مؤلف انجلس «دراسات حول نقد الاقتصاد السياسي» . — ص ٥١ .

٥٩ — المقصود كتاب انجلس «ضد دوهرينغ . السيد اوجين دوهرينغ يقلب العلم» . — ص ٥٢ .

٦٠ — تحت هذا العنوان صدر باللغة الروسية سنة ١٨٩٢ مؤلف أنجلس «الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية العلمية» المبنى على ثلاثة فصول من مؤلف انجلس «ضد دورينغ» . — ص ٥٢ .

٦١ — انجلس . «لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية» . — ص ٥٣ .

٦٢ - يقصد لينين مقال انجلس «القيصرية الروسية وسياستها الخارجية» المنشور في الكتابين الاول والثاني من مجلة «سوسيال-ديموقراط» . «**سوسيال - ديموقراط**» - عرض في الادب والسياسة اصدرته فرقة «تحرير العمل» في الخارج (لندن - جينيف) من ١٨٩٠ الى ١٨٩٢ . اضطلع العرض بدور كبير في نشر الافكار الماركسية في روسيا . لم يصدر منه غير اربعة كتب . - ص٥٣ .

٦٣ - يقصد لينين مقالات انجلس «حول مسالة السكن» . - ص ٥٣ .

٦٤ - المقصود هنا مقال انجلس «العلاقات الاجتماعية في روسيا» وخاتمة هذا المقال ، وقد ادرجا في كتاب «فريدريك انجلس عن روسيا» ، الذي صدر سنة ١٨٩٤ في جينيف . - ص ٥٣ .

٦٥ - يطلق لينين اسم المجلد الرابع من «رأس المال» ، وفقاً لاشارة انجلس ، على مؤلف ماركس «نظريات القيمة الزائدة» المكتوب في ١٨٦٢-١٨٦٣ . فقد كتب انجلس في مقدمته للمجلد الثاني من «رأس المال» يقول : «آخذ على نفسي نشر القسم الانتقادي من هذه المخطوطة («نظريات القيمة الزائدة» - **الناشر**) بشكل كتاب رابع من «رأس المال» على ان تحذف منها اماكن كثيرة استوفى بحثها في الكتابين الثاني والثالث» . (كارل ماركس . «رأس المال» . المجلد الثاني . الطبعة الروسية . عام ١٩٥٥ . ص ٢) . الا انه لم يتسن لانجلس ان يحضر للطبع المجلد الرابع من «رأس المال» . صدرت «نظريات القيمة الزائدة» لاول مرة باللغة الالمانية في سنتي ١٩٠٥ و ١٩١٠ كما حضرها كارل كاوتسكي . وفي هذه الطبعة لم تراع المتطلبات الاساسية في نشر النصوص العلمية وشوهت جملة من موضوعات الماركسية . صدرت «نظريات القيمة الزائدة» (المجلد الرابع من «رأس المال») للمرة الاولى وفقاً لمخطوطة ١٨٦٢-١٨٦٣ ، وذلك في سنوات ١٩٥٥-١٩٦١ وباشراف معهد الماركسية اللينينية لدى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي . - ص ٥٣ .

٦٦ - المقصود هنا رسالة انجلس الى بيكر في ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٨٤ . - ص ٥٣ .

٦٧ - ماركس . «النظام الداخلي العام لجمعية الشغيلة العالمية» ؛ انجلس . مقدمة الطبعة الالمانية لعام ١٨٩٠ من «بيان الحزب الشيوعي» . - ص ٥٥ .

دليل الاسماء

باور ادغار (١٨٢٠ – ١٨٨٦) – كاتب اجتماعي وسياسي الماني . من الهيغليين الشباب . اخو برونو باور . – ص ٥٠ .

برودن بيار جوزيف (١٨٠٩ – ١٨٦٥) – كاتب اجتماعي وسياسي فرنسي . واقتصادي وعالم اجتماع . ايديولوجي البرجوازية الصغيرة . احد مؤسسي الفوضوية . – ص ١٢ ، ١٤ .

بليخانوف غيورغي فالنتينوفيتش (١٨٥٦ – ١٩١٨) – قائد بارز في الحركة العمالية الروسية والعالمية ، اول داعية للماركسية في روسيا . .
بعد المؤتمر الثاني حزادر (عام ١٩٠٣) ، وقف بليخانوف موقف التصالح والتوافق مع الانتهازية ، ثم التصق بالمناشفة (التيار الانتهازي في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية) . – ص ٥٣ .

بوخنر فريدريك كارل خريستيان لودفيغ (١٨٢٤–١٨٩٩) – فيلسوف الماني ، احد الممثلين الرئيسيين للمادية المبتذلة . طبيب من حيث المهنة . – ص ١٧ .

بيسمارك اوتو ادوارد ماري (١٨١٥ – ١٨٩٨) – رجل دولة في بروسيا والمانيا . كان هدفه الاساسي توحيد الدويلات الالمانية المتفرقة الصغيرة بالعنف ، وتأسيس الامبراطورية الالمانية الواحدة الموحدة بزعامة بروسيا . في كانون الثاني (يناير) ١٨٧١ ، شغل بيسمارك منصب مستشار الريخ للامبراطورية الالمانية واشرف خلال ٢٠ سنة على سياسة المانيا الداخلية والخارجية كلها . في عام ١٨٧٨ ، مرر بيسمارك القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين ، ولكن جميع المحاولات الرامية الى خنق الحركة العمالية لم تتكلل بالنجاح . في عام ١٨٩٠ ، اضطرت السلطة الالمانية لالغاء القانون الاستثنائي . وفي العام نفسه ، اقيل بيسمارك . – ص ١٢ ، ٤٤ .

تيير ادولف (١٧٩٧ – ١٨٧٧) – مؤرخ ورجل دولة فرنسي . جلاد كومونة باريس في سنة ١٨٧١ . – ص ٢٣ .

تييري اوغوستن (١٧٩٥ – ١٨٥٦) – مؤرخ فرنسي ليبيرالي الاتجاه . اعترف تييري بانقسام المجتمع الى طبقات وبالنضال الطبقي بين البرجوازية والاريستقراطية ، ولكنه حاول ان يبرهن

ان منشأ الطبقات كان نتيجة لاستيلاء بعض الشعوب على شعوب اخرى . انكر التناحر الطبقي بين البرجوازية والبروليتاريا . — ص ٢٣ .

دوهرينغ اوجين (١٨٣٣ — ١٩٢١) — فيلسوف واقتصادي الماني . كانت نظرات دوهرينغ الفلسفية خليطاً إختيارياً من الوضعية والمادية الميتافيزيائية والمثالية . — ص ١٨ ، ٢٠ ، ٣١ .

رودبرتوس-ياغيتسوف يوهان كارل (١٨٠٥ — ١٨٧٥) — سياسي واقتصادي مبتذل الماني . احد نظريي «اشتراكية الدولة» البروسية . — ص ٣٢ .

روغه ارنولد (١٨٠٢ — ١٨٨٠) — كاتب اجتماعي وسياسي الماني . من الهيغليين الشباب . راديكالي برجوازي . في عام ١٨٤٤ ، اصدر في باريس مع كارل ماركس مجلة „Deutsch-Französische Jahrbücher" («الحولية الالمانية الفرنسية») . — ص ١١ ، ١٢ ، ٥١ .

ريكاردو دافيد (١٧٧٢—١٨٢٣) — اقتصادي انجليزي ، من اكبر ممثلي الاقتصاد السياسي البرجوازي الكلاسيكي . — ص ٥ ، ٣٢ .

زاسوليتش فيرا ايفانوفنا (١٨٤٩—١٩١٩) — مناضلة نشيطة في الحركة الشعبية ثم في الحركة الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا ؛ فيما بعد ، وقفت مواقف المنشفية (التيار الانتهازي في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية) . — ص ٥٣ .

زورغه فريدريك ادولف (١٨٢٨—١٩٠٦) — اشتراكي الماني . شخصية بارزة في الحركة العمالية والاشتراكية الاميركية والعالمية . من اعضاء الاممية الاولى النشيطين ؛ صديق ماركس وانجلس ورفيقهما في الفكر والكفاح . — ص ٤٥ .

سميث آدم (١٧٢٣ — ١٧٩٠) — اقتصادي انجليزي . من اكبر ممثلي الاقتصاد السياسي البرجوازي الكلاسيكي . — ص ٥ ، ٢٩ .

شابر كارل (١٨١٢ — ١٨٧٠) — قائد بارز في الحركة العمالية الالمانية والعالمية . عضو اللجنة المركزية لعصبة الشيوعيين . اشترك في ثورة ١٨٤٨ — ١٨٤٩ ، احد زعماء فريق «اليساريين»

الانعزالي اثناء انشقاق عصبة الشيوعيين (عام ١٨٥٠) . في عام ١٨٥٦ ، بعد ان فهم خطأ مواقفه ، اقترب من جديد من ماركس وانجلس . — ص ٤٣ .

شتين لورنتس (١٨١٥ — ١٨٩٥) — باحث برجوازي الماني في مسألة الدولة . اقتصادي مبتذل . — ص ٢٠ .

غيزو فرانسوا بيار غيوم (١٧٨٧ — ١٨٧٤) — مؤرخ ورجل دولة فرنسي . منذ ١٨٤٠ حتى ثورة شباط (فبراير) ١٨٤٨ ، اشرف فعلاً على السياسة الداخلية والخارجية ، واعرب عن مصالح البرجوازية الكبيرة . — ص ٢٣ .

فورباخ لودفيغ (١٨٠٤ — ١٨٧٢) — فيلسوف مادي وملحد الماني بارز . كانت مادية فورباخ ، رغم طابعها المحدود ، التأملي ، احد المصادر النظرية للفلسفة الماركسية . — ص ٤ ، ٥ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٧ .

فوغت كارل (١٨١٧ — ١٨٩٥) — عالم طبيعيات الماني . مادي مبتذل . — ص ١٣ ، ١٧ .

كانط عمانوئيل (١٧٢٤ — ١٨٠٤) — مؤسس الفلسفة الالمانية الكلاسيكية . كتب لينين يقول : «ان السمة الاساسية التي تتسم بها فلسفة كانط هي التوفيق بين المادية والمثالية ، المساومة بين هذه وتلك ، الجمع في نظام واحد بين اتجاهات فلسفية متضادة ، مختلفة» . — ص ١٧ .

كوغلمان لودفيغ (١٨٣٠ — ١٩٠٢) — اشتراكي-ديموقراطي الماني . صديق كارل ماركس . اشترك في ثورة ١٨٤٨ — ١٨٤٩ في المانيا . عضو الاممية الاولى . من سنة ١٨٦٢ الى سنة ١٨٧٤ ، تراسل مع ماركس ، واطلعه على الوضع في المانيا . — ص ٤٤ .

لاسال فرديناند (١٨٢٥ — ١٨٦٤) — اشتراكي برجوازي صغير الماني . احد مؤسسي اتحاد العمال الالمان العام (عام ١٨٦٣) . كان لتأسيس الاتحاد اهمية ايجابية بالنسبة للحركة العمالية ، ولكن لاسال ، بعد انتخابه رئيساً للاتحاد ، قاده في طريق الانتهازية . انتقد ماركس وانجلس نظرات لاسال النظرية والسياسية انتقاداً حداً . — ص ١٤ ، ٤٣ ، ٤٤ .

لافارغ لورا – راجع ماركس لورا .

لونغه جان (١٨٧٦ – ١٩٣٨) – مناضل في الحزب الاشتراكي الفرنسي والاممية الثانية . كاتب اجتماعي وسياسي . ابن شارل لونغه وجيني ماركس . – ص ١٥ .

لونغه جيني (١٨٤٤ – ١٨٨٣) – مناضلة في الحركة العمالية العالمية ابنة كارل ماركس الكبرى . زوجة شارل لونغه . – ص ١٥ .

لونغه شارل (١٨٣٩ – ١٩٠٣) – مناضل في الحركة العمالية الفرنسية . برودوني . صحفي . في ١٨٧١ ، عضو كومونة باريس . – ص ١٥ .

ليبكنخت ولهلم (١٨٢٦ – ١٩٠٠) – قائد بارز في الحركة العمالية الالمانية والعالمية . احد مؤسسي وزعماء الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني . كان ليبكنخت منذ عام ١٨٧٥ حتى وفاته ، عضو اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني ، والمحرر المسؤول عن لسان حاله المركزي „Vorwärts" («فورفارتس» – «إلى الامام») . اشترك ليبكنخت بنشاط في نشاط الاممية الاولى وفي تأسيس الاممية الثانية . – ص ٤٤ .

ماركس ايليونور (١٨٥٥–١٨٩٨) – مناضلة في الحركة العمالية الانجليزية والعالمية . ابنة ماركس الصغرى . زوجة الاشتراكي الانجليزي ايفلينغ . – ص ١٥ .

ماركس جيني (متحدرة من عائلة فون ويستفالن) (١٨١٤ – ١٨٨١) – زوجة كارل ماركس ، وصديقته ومعاونه الامينة . – ص ٥ .

ماركس كارل (١٨١٨ – ١٨٨٣) – مؤسس الشيوعية العلمية . مفكر عبقري . زعيم ومعلم البروليتاريا العالمية . – ص ٣–٣٣ ، ٣٦ ، ٣٨–٥٥ .

ماركس لورا (١٨٤٥ – ١٩١١) – مناضلة في الحركة العمالية الفرنسية . ابنة كارل ماركس . زوجة بول لافارغ . – ص ١٥ .

ماركس هنريخ (١٧٨٢–١٨٣٨) – والد كارل ماركس . محـام ، ثم مستشار العدلية في ترير . كان يتبنى نظرات ليبيرالية . – ص ٩ .

مازيني جوزيبه (١٨٠٥ – ١٨٧٢) – ديموقراطي برجوازي . احد زعماء وايديولوجيي حركة التحرر الوطني الايطاليـة . تقدم مازيني ببرنامج لتوحيد ايطاليا «من تحت» في جمهورية برجوازية مستقلة ، واعتبر الانتفاضة وسيلة النضال الاساسية . ولكن مازيني تميز بتكتيك التآمر وبتجاهل مصالح الفلاحين . روج مازيني خطة برجوازية صغيرة طوبوية لحل المسألة العمالية عن طريق «التعاون بين العمل والرأسمال» . – ص ١٤ .

موست يوهان يوسف (١٨٤٦ – ١٩٠٦) – اشتراكي-ديموقراطـي الماني ، ثم فوضوي . بعد صدور القانون الاستثنائي ضـد الاشتراكيين في عام ١٨٧٨ ، هاجر الى بريطانيا ، ثم (في عام ١٨٨٢) الى اميركا حيث واصل القيام بالدعاية الفوضوية . – ص ٦ ، ٤٥ .

موليشوت ياكوب (١٨٢٢ – ١٨٩٣) – عالم فيزيولوجي هولندي . من كبار ممثلي المادية المبتذلة . – ص ١٧ .

مينيه فرانسوا اوغوست ماري (١٧٩٦ – ١٨٨٤) – مؤرخ فرنسي ليبيرالي الاتجاه . اعترف بدور النضال الطبقي في التاريخ ، مثله في ذلك مثل سائر المؤرخين الليبيراليين في مرحلة العودة ، ولكنه حصره في النضال بين البرجوازية والاريستقراطيـة العقارية . حاول في اعماله ان يعلل حق البرجوازية في السلطة السياسية ، ووقف من نضال الجماهير العمالية الثورية موقفاً سلبياً . – ص ٢٣ .

هكسلـي توماس هنري (١٨٢٥–١٨٩٥) – عالـم طبيعيـات انجليزي ، من اقرب رفاق دارفين بالفكر ؛ ناشر مذهبه . في الفلسفة ، اعتبر هكسلي نفسه من اتباع المثالي هيوم . ولكنه كان يقف مواقف المادية حين كان يبث في المسائل الملموسة في الطبيعيات . – ص ١٧ .

هوليوك جورج جاكوب (١٨١٨ – ١٩٠٦) – قائد في الحركة التعاونية البريطانية . اصلاحي . – ص ٤٢ .

هيغل غيورغ ولهلم فريدريك (١٧٧٠ – ١٨٣١) – من اكبر الفلاسفة الالمان . مثالي موضوعي . صاغ هيغل بصورة عميقة وشاملة ، وعلى اساس المثالية ، مذهب التطور الديالكتيكي . إعاد ماركس وانجلس بروح النقد صياغة ديالكتيك هيغل المثالي ، واسسا الديالكتيك المادي الذي يعكس اعم قوانين تطور العالم الموضوعي والتفكير البشري . – ص ٤ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٤٨ .

هيوم دافيد (١٧١١–١٧٧٦) – فيلسوف انجليزي . مثالي ذاتي . لاعرفاني . – ص ١٧ .

ويستفالن جيني – راجعوا ماركس جيني .

ويستفالن فرديناند اوتو ولهلم (١٧٩٩ – ١٨٧٦) – رجل دولة بروسي . احد ممثلي الاريستقراطية الاقطاعية البروسية . ملكي . اخو جيني ويستفالن ، زوجة كارل ماركس . في سنوات ١٨٥٠–١٨٥٨ ، وزير الداخلية في بروسيا . – ص ٤٥ .

ويليخ اوغست (١٨١٠ – ١٨٧٨) – ضابط بروسي . عضو عصبة الشيوعيين . اشترك في انتفاضة بادن بفالتس عام ١٨٤٩ . احد زعماء الكتلة الانعزالية المغامرة التي انفصلت عن عصبة الشيوعيين في عام ١٨٥٠ . – ص ٤٣ .

محتويات

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة الكتاب ، وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم

العنوان : زوبوفسكي بولفار ١٧ ،
موسكو – الاتحاد السوفييتي .

В. И. Ленин

ТРИ ИСТОЧНИКА И ТРИ СОСТАВНЫЕ ЧАСТИ МАРКСИЗМА

На арабском языке

